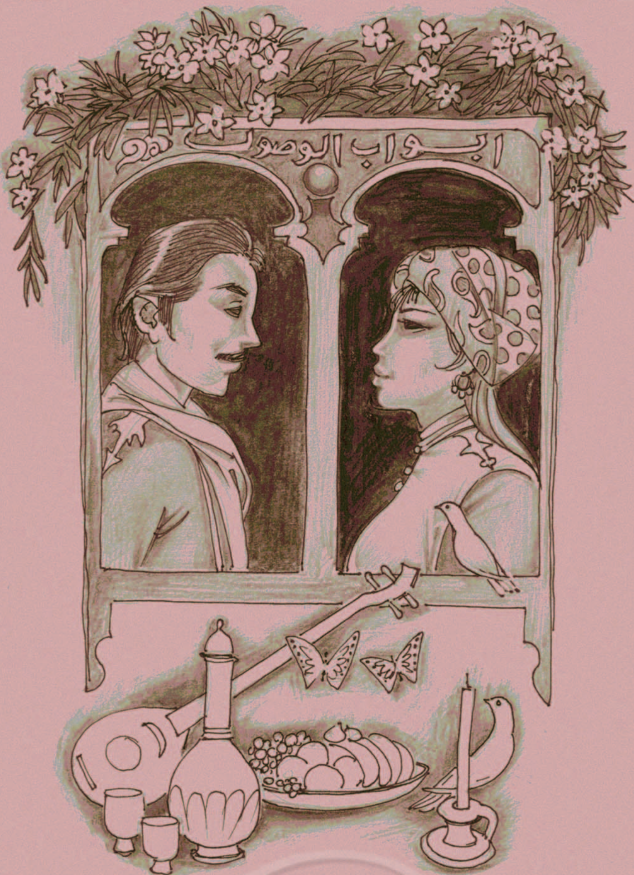
مسرح



حفلة على الخازوق

عريس لبنت السلطان

محفوظ عبد الرحمن

حفلة على الخازوق

محفوظ عبد الرحمن

الشخصيات

1 – مدير السجن –

لو أنك قابلته في الطريق أو جلست معـه فـي سـهرة، لوصفته بالغباء ... وهو حكم متسرع ... فهو ذكي جدا فيما يخص عمله، يعرف جيدا كيف يدفعك إلى الاعتراف بجريمة لم ترتكبها ... ستقول إنها خبرة العمل الطويلـة ... وقد يكون هذا صحيحا ... ولكن المؤكد أن ذكـاءه محفور في قناة واحدة ... ولا تنسى خبرته أيام أن كـان طفلا فلقد نشأ في بيت أمه (نعيمة العوادة) وهي مغنية محدودة الموهبة فقيرة الحال. هذا الجو علمه الكثيـر ... ولكنه ظل عاجزا عن الوصول إلى الذكاء الاجتماعي أو الثقافي رغم دأبه العظيم ... لم يستطع أن يتخلص مـن سوقية لازمته من أيام الصبا، تصل أحيانـا إلـى حـد الحيوانية. ضخم الجثة قوي البنية ... فهو عندما يـدخل السجن يفكر بعضلاته ... لا يحب التعذيب ولا يكرهـه ... هو بالنسبة له شيء عادي مثـل الأعمـال اليدويـة

وكمدير يترفع عنه ... ولكنه لا يتصور أن الحياة تستمر دونه.

2 – المساعد –

تقابله في اليوم الواحد عدة مرات ... فهو مثـل الأميبـا قادر على الانقسام ... مثل العصفور سريع الحركة ... ذكي جدا، ذلك الذكاء السطحي الحـاد ... فـي لحظـة يعرف ماذا تريد ... وهـو جـاهز دائمـا ... يدغـدغ رغباتك ويرفع أي شعار يرضيك ... موهبته الحقيقية في أن يتلون في كل إناء ... وتظن دائما أنك قد وقعت على الرجل المناسب، انه يقوم بأعمالك بـأرخص الأسـعار، وينافقك دون مقابل ويقفز كالبهلوان حتى تبتسم، انه التابع الطائع. ومع ذلك فأنت لن تنتبه إلى أنـه سـيطر علـى داخلك وبدأ يسيرك ويحركك وهو لا يفعل ذلك لصـالحه بمعنى الكلمة. إنما يفعله لما يتـوهم أنـه صـالحك ... عنكبوت تقع في شباكه ولا تستطيع الهرب. تعرف أنـه دنيء ولا تستطيع طرده لأنك اعتمدت عليه في أعمال لا يستطيع غيره القيام بها.

ولكل رجل هام (مساعد) – مدير السجن له مساعد ... والمحتسب له كاتب والـوزير لـه وزيـر ... تختلـف التسميات والشخص هـو نفـس الشـخص ... يجـري ويجري حتى يسقط ميتا في الخمسين ولكن بعد أن ينجب عشرة مساعدين يصبحون ضباط صف الدولة.

3 – الجندي –

قد تقابله وتجالسه، وتتحدث معه ... لكنه لو غير ملابسه الرسمية لن تتعرف عليه.

4 – حسن –

أعرف حسن منذ وقت طويل، أحبه كثيرا ... فهو شاب طيب القلب لطيف المعشر. ولكنني لم أتصـور لحظـة واحدة أن يكون بطلا لقصة ولا حسن خطرت على بالـه هذه الفكرة الشيطانية فهو مثل ملايين غيره يولدون دون ضجة ... ويعملون دون بريق، ويموتون وسط قطـرات من الدموع ... ثم لا يجد أبناؤهم ما يتحدثون به عنهم إلا قصصا يراها المستمعون تافهة، ويدرك الأبناء أنفسـهم هذه الحقيقة بعد حين. حسن واحد من ملايين هـم ملـح

الأرض ... والملح ضروري وهام ولكن لا قيمة له فـي حد ذاته. لم يتعلم ليعرف ... ولكنه مع ذلك يعرف بحسه وبديهته وتلقائيته. رغم أن حسن سيذهل إذا رأى اسـمه مكتوبا في مكان ما وسيصعق لو أن اسمه موجـود فـي قصة إلا أنه في رأيي بطل ... ليس الجندي المجهول بل الجندي المظلوم انه يقتل بكل جوارحـه وإذا نجـا مـن الموت يقف سعيدا في الصف وضابطه ينال الوسـام ... لا تقولوا إنه يفتقر إلى الطموح أو إنه كسـول ... فهـو يبذل جهدا خارقا من أجل أن يزرع ظلـه بـالخير ولأن الأرض كبيرة جدا ولأن الكون هائل جدا ... فـلا أحـد يقدر عمله.

5 – هند –

أنثى ... ليس بمعنى تلك الكلمة التي نستخدمها كثيرا ... لكن بمعنى خاص ... أنثى كالأرض تعطي بـلا حـدود وتأخذ كل شيء ... أنثى ضارية تذود عن نفسها بأظافر حادة ... أنثى تريد فلا شيء يقف في طريقها. بعـد أن مات زوجها الذي لا نعرف عنه شيئا عاشت راهبة فـي بيتها النائي ... ليست ملاكا حتى تعيش بهـذه الطريقـة

لكنها لم تكن تريد أن تعطي قلبها إلا للرجل الذي تحبـه ... والغريب أنها وجدت في حسن هذا الرجل. رغم فقره ورغم انه لا يمتلك شيئا يتميز به عن غيره من النـاس. هند نفسها لا تعرف سبب اختياره في مثل هذه الأمور لا تفكر بل تحس ... أتوهم أنها أدركت بأنوثتها أن حسـن وحده هو القادر على أن يأخذ الحب ويعطيه ... في حين أن بقية الرجال الذين أحاطوا بها أغوات وخصـيان ... بخلاء وطامعون، حاقدون ومزيفون. قصة حسن وهنـد هي – من وجهة نظر ما – هـي قصـة قـيس وليلـى وروميو وجوليت لولا أنهما لم يقولا شعرا، ولم يجدا من يكتب قصتهما ... ولم يخطر على بال أحدهما أن تصبح قصة حبهما شيئا يكرره الناس ... إنها قصة بسيطة جدا، لم تتعقد لحسن الحظ بترديدها بين الشعراء.

مواقف هند البطولية دفاعا عن حسن ليست مـن وجهـة نظرها مواقف بطولية ... إنها مواقـف الأنثـى – الأم. فهي لا تمنح حسن حبها كامرأة فقط بل عواطفهـا كـأم أيضا. هند جميلة ولكنها أقل الناس إحساسا بهذا الجمال. إنها تسير به كما لو كان شيئا طبيعيا ... وربمـا كانـت

جميلة بمقياس العصر ... بيضـاء وممتلئـة. وإلا لمـا أدارت الرؤوس. ولكن أهم سمة في جمالها أنهـا كانـت تملك شخصية قوية أحبوا فيها هـذه الشخصـية دون أن يدركوا.

6 – المحتسب –

وظيفته ابتدعت في عصر متأخر وأحيانا لم تكـن لهـا حدود متفق عليها ... فكان يتـولى سـلطات قضـائية وبوليسية وعادة كان يمثل أخلاقيات المجتمع في محاولة منع الفساد والربا والغش ... وصديقنا المحتسب رجـل لطيف المعشر، عليم بمعارف عصره قرأ حتى يئس ... انتقل في حياته بثلاث مراحل ... كان في الأولى نموذجا للوطن وفي الثانية نموذجا للانتهازية وفي الثالثة نموذجا للحكمة ... والحكمة لديه تعني أن ينال كل شر، دون أن يغضب أحدا لا الحكـام ولا النـاس ... مثـال للريـاء الاجتماعي ... يحرص على الصلاة في الأماكن العامةـ خاصة – شديد في الحق، يرفض تنفيذ الأوامر التي تظلم الناس بين الفينة والفينة ... كثير الكلام عن الحق والعدل والأخلاق ... لكنه في بيته سكير عربيـد ... يشـتهي

النساء رغم شيخوخته. ولأنه يحب إعطاء الأشياء شكلها الشرعي فهو لا يواصل النسـاء إلا بـالزواج ... زواج بالليل وطلاق بالنهار ... يأخذ كل شـيء آخـر بـنفس الطريقة: بالشرعية ولو أن العمر امتد به إلـى عصـرنا هذا لكان من رجال الدساتير.

7 – فتحي القطاع –

لص وقاتل ... ومع ذلك فأنا أرثى لـه ... لقـد كـان (متسلطنا) على الجبل يـأمر وينهـي ويكنـز الأمـوال المسروقة وبدا أن الدنيا كلها ستكون في جيبه ذات يـوم لولا حادث صغير قلب كل شيء ... لقد جلس مرة يتأمل الجبل فرآه جميلا وعندئذ حدثت الكارثة لقد حلم وفكـر ولما كان التفكير هو آثم آثامه والذنب الذي لا يغفر لـه فلقد ضاع فتحي نهائيا منذ تلك اللحظة وتحولـت متعـة اللاص إلى عذاب الشهداء.

ورغم أن فتحي مر على قصتنا مرورا عـابرا. إلا أنـه بالتأكيد له قصة أخرى ... ربما عاد إلى الجبـل ليقـيم العدل. وربما تحول إلى متصوف وربما أصـبح أفاقـا

يلعب بمشاعر الناس ومصالحهم ... مسكين قضي عليه الحلم والتفكير.

8 – الوزير –

الوزير يستحم كل يوم ثلاث مرات بانتظـام شـديد ... ويتزين قبل خروجه إلى الديوان حتى ولو كـان العـدو على أبواب المدينة ... ولذلك فهو يبدو دائما محترما ... تعلم من أبيه أن الهيبة والنفوذ لا يأتيان مـن الأعمـال الكبيرة بل من المظاهر الصغيرة ... واثق جدا من نفسه وحتى عندما يقبض عليه في النهاية يعـرف جيـدا انـه سيعود مرة أخرى وزيرا لنفس الوالي أو لوال آخـر ... رغم انك مؤمن أنه فارغ وتافه إلا انك عندما تقابله تؤكد له أنه عالم ومثقف وعادل ... وأنت لست منافقا. لأنـه قادر بسحر خاص على أن ينقل لك هذا الإحساس لكنـه إحساس لا يستمر إنه كالهواء لا يترك أثرا.

9 – جوهر –

النخاس ... قناع لا يخفي شيئا. انه ينسج الكلمات الحلوة وهو يعرف أنك لن تصدقها ولا يريدك أن تصدقها. إنـه

يبيعك جواريه ويعرف أن جسد الجارية هو ما يجعلـك تشتري وبقية الأشياء ليست إلا مجرد حلى لا قيمة لهـا ... البيع والشراء في دمائه لكونه يختلف عن أي تـاجر آخر في أنه مستعد أن يبيع نفسه. تكاد أن تشم له رائحة كريهة على البعد. يعرف ذلك ولكنه يقترب منـك فـي لزوجة.

10 – الجواري –

رغم الصمت إلا أنهن يقلن الكثير ... لسن مجرد نسـاء للمتعة كل واحدة تعرف أنها على قيد خطوة مـن حكـم البلاد. ليست شهوة الحكم أو الثروة فقط ما تدفعها. قـد تكون قد تدربت وقتا طويلا من أجل هذه اللحظة، وقد لا يعرف جوهر هذا، ولكنه لو عرف لما اهتم. فـي عـين الواحدة توسل غامض للوزير أن يشتريها وأحـلام فـي رأسها بنفوذ هائل أو دمار البلاد أو الحلمين معا.

11 – الوالي –

يعطي إحساسا بالأمان طيب القلب محب للخيـر ولكـن مشكلته تبدأ من تعوده على الكرسي الذي يجلس عليـه،

حدد ذكاءه وجعله يسير في قناة واحدة ... قتل فيه حـب المغامرة وفكرة التغيير. أعظم سلبي في قصتنا ... ولـو أننا كنا أكثر قدرة لبينّا ما في نفسه من تناقض حب الخير والعجز عنه، انه من ذلك الصنف الذي لا تحكي الأجيال عنه شيئا إلا بالخير ولا بالشر ومع ذلك فلو أنك دققـت في كتب التاريخ فستجد اسمه مكتوبا.

الفصل الأول

وفيه وصف لنكبة حسن المراكبي نتيجة سيره خالي البال وبيان العظة من شرور السعادة والأمانة ... والعياذ بالله

المشهد الأول

(غرفة مدير السجن ... غرفة أنيقة بسيطة لكنها كئيبة ... مكتب ضخم كراسي ضخمة قليلة جدا ... باب واحد إلى يسار المسرح. لوحة ضخمة معلق عليها بعض القيود بطريقة تشكيلية في الركن آلة تعذيب ضخمة على الجدار بعض السياط الضخمة في تناسق. مدير السجن ضخم الجثة. قاسي. محدود الذكاء. لكنه ماهر جدا في عمله. مساعده على عكسه. ضئيل الجسم، سريع الحركة ذكي لماح. الإضاءة خافتة وغير مباشرة مما يزيد من كآبة المكان)

المساعد – ولا نظرة يا سعادة المدير؟

المدير – ولا نظرة

المساعد – ولا نظرة واحدة.

المدير – ولا حتى من طرف عينه

المساعد – غريب

المدير – انتهى الاحتفال كله. صنعت ضجة لم يسبق لها مثيل ... ضربت عشرات من الناس الواقفين

ليفسحوا طريقا للموكب ... صرخت فيهم ... وفـي أذن الوالي أيضا لكن عينه لم تطرف.

المساعد – دسيسة ولا شك ...

المدير – من النوع القاتل (حزينا) بالأمس حلمـت أننـي معلق على سور المدينة من قدمي ... صرخت فـي الحلم، حتى أن ... زوجتي استيقظت.

المساعد – لا تهتم ... سور المدينة لأعدائك إن شاء الله

المدير – لا يكفيهم فهو لا يزيد عن ألف فرسخ ...

المساعد – لا تكن متشائما ... هل نسيت كم علقنا منهم حتى الآن؟

المدير – إنهم يتزايدون كالسرطان ... قل لي لماذا يتكاثرون هكذا؟ ولماذا يكرهونني؟

المساعد – هذا بديهي فأنت مدير السجن ... والناس في كل مكان وزمان أعداء لمدير السجن ظاهرة غريبـة لا تفسير لها ... دليل على عقوق الإنسان ...

المدير – عداؤهم لا يهمني ... رضا الوالي ما يهمني

المساعد – سيرضى

المدير – بين لي ما تفكر فيه

المساعد – ألست واثقا في؟

المدير – أنا لا أثق في أمي ... لكني أثق فيـك ... وهـل أنسى ملاعيبك؟ طالما مشينا على الحبل سويا

المساعد – (باسما) يقطع الحبل.

المدير – (باسما) ونحن لا نقع. (يضحكان في حدة)

المساعد – إذن ... اطمئن

المدير – لا أطمئن يجب أنأافهم ...

المساعد – اسألني عن أهم شيء بالنسبة لي؟

المدير – (مستنكرا) هل نحن أطفال يلعبون ...

المساعد – اسأل ... سنصل إلى ما نريد ...

المدير – (ساخطا) سألتك ...

المساعد – الإجابة: عمري ... حياتي ...

المدير – طبعا ...

المساعد – السؤال لك أيضا: ما هو أهم شيء بالنسبة لك؟

المدير – وهل هذا يحتاج إلى سؤال ... حياتي طبعا ...

المساعد – رائع ... لو سألت الوالي سيقول لك نفس الإجابة

المدير – لست أفهم (متردد) أو ربما على وشك أن أفهـم ...

المساعد – لو أقنعنا الوالي أن هناك خطرا على حياتـه ... سنكسبه إلى صفنا (بلهجـة ذات مغـزى) ألـيس كذلك؟

(المدير يفكر وينظر إلى المساعد وينفجـران فـي الضحك في تفاهم)

المدير – أنت إبليس

المساعد – تلميذك يا سعادة المدير

المدير – أحيانا أتساءل لماذا لم تصبح سلطان الدنيا كلها، ما دمت تملك هذا القدر من الـ ... من الخبث ...

المساعد – لو كان للدنيا سلطان واحد لأصبحت أنت يا سيدي ... فالناس فئتان فئة تتسلطن وفئة تخدم السـلاطين ... وأنا منهم ...

المدير – (مفكرا) لكن هل من السهل أن نجد ذلك الكبش؟

المساعد – أي كبش؟

المدير – كبش الفداء

المساعد – إنهم يملأون الأسواق والطرقات.

المدير – قد يرفض ...

المساعد – وهل تتصور أن واحدا من هؤلاء الذين يعيشـون
عيشة أفضل منها الموت يرضى أن يضحي بحياتـه
ولو من أجل مولاي المدير؟ لابد أن يقاوم طبعا.
المدير – إذن سيتعبنا
المساعد – كلهم يتعبوننا ... ولكنهم في النهاية يموتـون ...
إما بالمشنقة أو بالخازوق أو (خافتا) بالسكتة القلبية
وطبيب السجن خبير بالتقارير عن مثل هذه الحالـة
...
(ضجة في الخارج. صوت حسن: هذا ظلم اتركنـي
ماذا فعلت؟ المدير ومساعده كل منهما ينظـر إلـى
الآخر)
المساعد – الكبش وصل
المدير – هيه ... لنبدأ العمل ... آه لو عرف الناس كم نكـد
في عملنا
(يدخل جندي قابضاً على حسن)
حسن – (يتأمل المكان بذعر) ماذا حدث؟
الجندي – اخرس يا متهم.
حسن – متهم؟ متهم بأي شيء؟
المساعد – (يشير إلى حسن بالصمت) هش ...

حسن – هش إيه أفهموني الحكاية ...

المساعد – (للعسكري) ألم تجد غير هذا المشاغب

الجندي – اليوم الجمعة ... أجازة ... لم نجد سواه يسير إلى جوار قصر الوالي. والله لقد بذلت جهدي يا سـعادة المساعد ...

حسن – أفهم ... أفهم ... أريد أن أفهم

المدير – (للمساعد) إنه خطير جدا إنه يريد أن يفهم هـل وصل الناس إلى هذا المستوى؟ في زماننا لم يكـن أحد يجرؤ على أن يفهم ...

المساعد – كلهم هكذا في البداية ... هل تجهلهم؟

حسن – أنا بريء ... نظيف ... في حياتي لم أسـرق ولـم أختلس ولم أعمل في الجباية.

المدير – (للمساعد) لا ... لا ... إنه يثير ضجيجا

حسن – لو كان فيكم رجل ... رجل بمعنى الكلمة ... فليقل لي ماذا فعلت؟

المساعد – (للجندي) يا غبي ... ألم أقل لك أن تأتي برجل طيب ... شريف هادئ.

حسن – أنا الرجل الشريف الطيب الهادئ ... ولكن لماذا تأتون بي إلى هنا؟

المدير – (للجندي) يا بني ... هل تنقصنا الفضائح حتى تضيف لنا فضيحة جديدة. أتيت لنا بدلال من السوق.

حسن – كلموني أنا ... أنا الذي أصرخ.

المدير – ولماذا تصرخ؟

حسن – لأنني بريء.

المدير – (بدهشة) وهل قال لك أحد إنك لست بريئا لا سمح الله.

حسن – إذن لماذا أنا هنا؟

المساعد – هذا ليس عملك.

حسن – الله ... إذا لم يكن عملي فعمل من هو؟

المدير – وظيفتنا التي نأخذ عليها راتبا في آخر الشهر، أدامه الله.

حسن – منحكم الله الصحة والعافية ... وبارك لكم في أموالكم وذريتكم وراتب آخر الشهر ... أنا لم أفعل خطأ واحدا في حياتي ... أنا أحترم القانون، وأخاف

من العسكر وفي حياتي لم أر بعيني سنجقا واحدا ... فلماذا تأتون بي إلى السجن.

المدير – اهدأ.

حسن – وكيف أهدأ وأنا في هذا المكان؟

المدير – كن مؤدبا يا رجل ... هل أنت أحسن منا؟ كلنا هنا وهادئون والحمد لله.

حسن – أنتم هادئون لأنكم موظفون.

المدير – وأنت أيضا.

حسن – (بدهشة) أنا؟ أنا ماذا؟

المدير – نريد توظيفك هنا.

المساعد – (للعسكري) اذهب جهز مكانا لـ للأخ ... انتـق مكانا طيبا. واجب علينا إراحة الزملاء الجدد

الجندي – حالا يا سعادة المساعد (العسكري يخرج).

حسن – تريدون توظيف شخص فتأتوا به هكذا (يمثل كيف أتي به الجندي).

المدير – غلطة.

المساعد – غلطة الجندي ...

حسن – غلطة؟ على أي حال أنا لا أحب أن أشتغل هنا

المدير – لماذا؟

حسن – لا أحب أن أعمل في مكان أكرهه.

المدير – غبي ... هذا هو أول شرط من شروط النجاح هل رأيت موظفا يحب عمله ويترقى؟ أبدا دائما يترقـى الموظفون الذين لا يحبون عملهم.

حسن – يا سعادة المدير ... يا سـعادة المسـاعد ... أنـا مراكبي ... يعني أحب الحرية ... لا أحب السـجن ... أحب أن أترك لسفينتي العنان يأخذها الموج إلى حيث يريد، وتحركها الرياح إلى حيث تشاء ... لـو كان الأمر بيدي لفتحت أبواب السجون ... فلا شيء في الدنيا يستحق أن يسلب الإنسان من أجله أعز ما يملك ... حريته. لو كان الأمر بيدي لكسـرت كـل الأقفاص وتركت العصافير تطير.

المساعد – كلامك هذا في حد ذاته تهمة خطيرة. معناه أنـك تدعو لإلغاء الضمانات وتغيير القوانين الاجتماعيـة السائدة هذا الكلام كاف لشنقك ثلاث مـرات علـى الأقل ... (للمدير) سأطلب الجندي.

المدير – انتظر ... لا تتعجل هكذا ... الرجل متفـاهم ... يجب أن نكون عادلين معه (لحسـن) كـان مـن الممكن أن ندفعك إلى السجن الآن. ولا من شاف ولا من عرف. لكنا لسنا من هذا الصـنف. نحـن قـوم متحضرون ... فكرة السجن للسجن انتهت ... الآن واجب علينا توعية السجين ... السجن أصبح رسالة اجتماعية جليلة.

حسن – (محتجا) لكنني لست سجينا ... أنت نفسك قلـت هذا (للمساعد) أنت شاهد لقد قال إنه يريد توظيفي.

المساعد – (يبتسم ساخرا)

حسن – نصف العمى ولا العمى كله ...

المساعد – لا تكن حرفيا ... كن مرنا.

حسن – مرن والله وشاطر ولماح ... لكنني لا أفهم شيئا مما يدور حولي.

المدير – (للمساعد) متعاون جدا

المساعد – (للمدير) ولطيف

المدير – وظريف

المساعد – ومطيع

المدير – وهادئ

المساعد – وابن ناس طيبين

المدير – ونحن على خطأ ...

المساعد – وأي خطأ ...

المدير – خطأ كبير ...

المساعد – كبير جدا.

المساعد – من حقه أن يغضب منا ...

المساعد – معقول جدا ألا يفهم ما نقصده.

المدير – طبعا ... كان واجبا أن نشرح له الحكاية

المساعد – إخص علينا ... نسينا أن نفهمه الحكاية

المدير – (لحسن) معذرة يا بني

المساعد – (لحسن) معذرة يا أخ

المدير – اقعد يا ابني ... استرح

حسن – (بعنف) لا ...

المدير – (بدهشة) أقعد؟

حسن – (بعنف أشد) لا

المدير – (بدهشة) لماذا لا تريد الجلوس؟

حسن – عندما يطلب مدير السجن مـن إنسـان أن يجلـس ويستريح، فلابد أنه يريد منه شيئا أكبر من حريتـه ... بل ومن ... عنقه.

المدير – أنت حر (للمساعد) دعنا منه وهيا بنا إلى العمل.

المساعد – (بعد أن يخرج قلما وورقة) س: ما اسمك؟

حسن – ج: أنا موظف أم سجين؟

المدير – (ثائرا) الله يخرب بيوتكم ... وهل هناك فرق؟ أنا هنا لا أغادر هذه الجدران أسابيع كاملة ... إذن أنـا مسجون ... وتحت في زنزانة رقم واحد مسـجون ينام على ريش النعام ويأكـل الفـالوذج والبالوظـة وعيش السرايا ويتعطر بعطور سمرقند ... ويتزوج مرة كل أسبوع لماذا؟ لأنه مهرج الوالي ... هل هذا يعتبر سجينا؟ ...

حسن – (بدهشة) ولماذا يسجن الوالي مهرجه؟

المدير – (غاضبا) يا حيوان ما لك والسياسة.

حسن – آسف يا سعادة المدير ... كان مجرد سؤال

المساعد – س: ما هو اسمك؟

حسن – حسن ...

المدير – (ساخرا) ما شاء الله ... الشـاطر حسـن بـن شهبندر التجار.

حسن – لا ... لا ... حسن عبد الله.

المساعد – واسم العائلة؟

حسن – محمد ...

المدير – أنت من عائلة محمد ... لماذا إذن تثير ضـجة ... عائلة محمد كلها نـاس طيبـون يسـمعون الكـلام ويطيعون الأوامر ... كل الزبائن لدينا مـن عائلـة محمد.

المساعد – السن ...؟

حسن – لا أعرف على حساب أمي رحمهـا الله 25 سـنة وعلى حساب أبي رحمه الله 30 و ...

المساعد – (مقاطعا) 35.

حسن – لا مانع يا سعادة المساعد ...

المساعد – س: من هم شركاؤك في الهجـوم علـى قصـر الوالي؟

حسن – (بفزع) يا نهار أسود ... الهجوم؟ الوالي أنا؟ ماذا تقولون؟ قولوا كلاما معقولا قولوا كلاما يذهب بـي

إلى السجن ... أما الـ ... إنه خازوق على الأقـل ... لماذا؟ هل فعلت لكم شيئا؟ هجوم ... والـي ... قصر.

المدير – اهدأ ... اهدأ ... من أين أتى بك الجندي؟

حسن – من عند قصر الـ ... لكن أنا

المدير – (مقاطعا) من عند القصر وعلى وجه التحديد من عند باب القصر ... أليس كذلك؟

المساعد – (للمدير) المهم الاعتراف ... التهمة ثابتـة يـا سعادة المدير ولا يفيد الإنكار.

حسن – تهمة؟ ثابتة؟ أية تهمة؟

المساعد – التجول حول قصر الوالي مع سـبق الإصـرار والترصد.

حسن – وهل هذه جريمة؟

المدير – وأي جريمة يا سيد حسن ...

حسن – يا ناس ... لقد كنت أريد أن أبلـغ الـوالي رسـالة (يبدو الاهتمام الشديد على المدير والمساعد).

المدير – رسالة؟

حسن – رؤيا.

المدير – (للمساعد) اكتب عندك وادعى المتهم الجنون.

المساعد – (حسن) كلمنا يا أخي عن الرؤيـا ... كلامـك سيفيدنا إن شاء الله.

حسن – شفت في الحلم أنني في أرض واسعة خضراء على شاطئها بحر أزرق بلا نهاية ... كان الجـو جمـيلا ... ربيع ... الشمس طالعة من الشرق ... دافئة ... نظرت إلى الشمس فأنا أحبها وكل إنسان حر فيمـا يحب ... كان حولها سحاب يتسابق (تتغير لهجتـه من الحلم إلى الفزع) لكن السحاب لم يكن سحابا ... بدأ يتغير ... شيء فظيع ... كان جرادا ... أصبح جرادا ... جراد كثير ... كثير جدا ... نزل علـى الزرع الأخضر أكله ... أكل كل شيء. كل شـيء حتى الإنسان ... جعـل الأرض كلهـا خرابـا ... صرخت ... أدركوا الـزرع الأخضـر، أدركـوا الإنسان ظللت أصرخ حتى استيقظت.

المدير – ثم؟

حسن – قلت لنفسي إنه من واجبي أن أحكي هـذه الرؤيـا للوالي.

ولم الوالي بالذات؟
حسن – صوت داخلي أكد لي أن أحدا لن يستطيع
المساعد – شيئا سوى الوالي.
المدير – صوت من؟
حسن – لا أعرف؟
المدير – لا يا حبيبي ... لا تحاول التغطية على شركائك.
المساعد – غريبة حكاية الجراد هذه.
حسن – رغم أن الدنيا مليئة بالفظائع إلا أنه أسوؤها جميعا، ليس فقط لأنه يسرق طعام الناس ولكن أيضا لأنـه يسرق آمالهم.
المدير – س: هل لك علاقة بهذا الجراد؟
حسن – (بدهشة شديدة) علاقة بالجراد؟ انه حلـم مجـرد حلم.
المدير – وإذا كان مجرد حلم يا فالح، لماذا تريـد إزعـاج الوالي به؟
حسن – ليس لدي إجابة على هذا السؤال ... فقـد وجـدت نفسي (مندفعا) إليه دون أن أدري.

المدير – (للمساعد) (مندفعا) انتبه لهـذه الكلمـة جيـدا (مندفعا).

المساعد – أنها واضحة ... قال بلسانه (مندفعا)

المدير – لقد ذهب (مندفعا) وما أدراك ما (مندفعا).

المساعد – هذه الكلمة حسمت القضية ...

حسن – إنني لا أفهم يا سـادتي ... (المـدير والمسـاعد يتجاهلانه)

المساعد – التهمة ثابتة ...

المدير – جدا (مندفعا)

المساعد – الخطوة التالية هي معرفة ما وراء القضية ...

المدير – نكشف عن تاريخه ... أكيد ارتكب شيئا مـا مـن قبل. لابد أنه كان (مندفعا) من قبل.

المساعد – وإذا لم يكن قد ارتكب شيئا ... فلابد أن أباه قـد ارتكب ... أو أخاه ... عمه ... خالته.

المدير – يخيل لي أن جده كان متهما في محاولة قتـل جـد الوالي ...

المساعد – الأضابير كلها موجودة ... وسنعرف كل شيء.

المدير – جهز لي القضية وسأذهب بها إلى الوالي فورا.

المساعد – اهدأ ...

المدير – هل العباءة جاهزة؟

المساعد – اهدأ ...

المدير – ولم اهدأ؟ إنها قضية جاهزة ... ألم يكن هذا الولـد (مندفعا).

المساعد – نسيت القاضي؟

المدير – وما دخله بالأمر ...

المساعد – الوالي سيحول له القضية والمتهم لم يقتنـع بعـد بالتهمة ...

المدير – (صارخا في حسن) يا ابني اقتنع وخلصنا ...

حسن – اقتنع بماذا؟

المساعد – كن متعاونا لا تخيب ظننا فيك.

حسن – متعاون والله ... لكن المطلوب صعب جدا ...

المساعد – (بود) اسمع يا حسن بصراحة أنت مكلف بمهمة وطنية كبيرة ... كبيرة جدا ...

حسن – (بدهشة) أنا؟

المدير – نعم يا بني أنت ... القدر اختارك أنت بالذات لمهمة تاريخية عظيمة.

حسن – لا أفهم ...

المساعد – الوالي ...

حسن – ما له؟

المساعد – هناك خطر عليه ...

حسن – وهذا تفسير الحلم ...

المدير – نحن نعرف ... لكننا لم نرد التصريح لك ...

المساعد – المشكلة أن الوالي غير مقتنع ...

حسن – بسيطة ... قولوا له كل شيء ...

المدير – قلنا ... ولكنه لا يصدق ...

حسن – قدموا له الدليل ...

المدير – المصيبة أن ليس في يدنا أدلة ...

المساعد – أنت الدليل يا حسن

حسن – أنا؟

المدير – لو اعترفت سيثق الوالي في كلامنا.

حسن – اعترف بأي شيء؟

المساعد – اعترف فقط، ونحن علينا الباقي ... سنلقنك مـا تقوله.

المدير – بسيطة جدا ... تسجل أقوالك في التحقيقات فتقـدم الاعترافات – دار بكل العمل ... نحن نتبع أحـداث الوسائل الصحيحة في شعبة الاعترافات.

حسن – ثم ...

المدير – فقط شيء بسيط جدا كما ترى.

حسن – (صارخا في غضب) يا أولاد الثعالـب تريـدون إجلاسي على الخازوق.

المدير – (صارخا) لماذا تصرخ هكذا؟ أنت حيوان لا تفهم شيئا ...

المساعد – (للمدير) إنه نموذج كامل للغبـاء يـا سـعادة المدير.

المدير – (للمساعد) أنت المسئول قلت لك ألـف مـرة إن حسن عبد الله لا ينفعنا وأنت تؤكد لـي انـه مثـال الإخلاص والتضحية ... عائلة محمد هذه لا نفع فيها ...

المساعد – آسف يا سعادة المـدير ... لكـل جـواد كبـوة (لحسن) أهكذا تكسفني مع سعادة المدير؟ (بلين) هل تتصور يا حسن أننـا سـنتركك تجلـس علـى

الخازوق ... غبي عبي والله ... قبل أن يحدث هذا نكون قد هربناك.

المدير – أنا لا أنسى رجالي أبدا ... إخلاصهم دائما محـل تقديري واهتمامي.

حسن – أهرب؟ كيف؟ أهرب وأنا أحمل على كتفي تهمة مثل هذه التهمة سأكون في نظر الناس خائنا.

المدير – إذا لم نتعاون معنـا سـتكون خائنـا ... أنسـيت (مندفعا).

حسن – هل أنا محكوم على دون أن أفعل شيئا.

المساعد – تهاني يا حسن ... لقد بدأت تفهم، ظهرت عليـك علامات الذكاء.

المدير – ليس مهما ما فعلت ... المهم ماذا أنت الآن ...

حسن – يا سلام ...

المدير – لا اختيار ...

حسن – هكذا خائن ... وهكذا خائن

المساعد – لا طريق أمامك سوى التعاون معنا كي ننقذك.

حسن – (كما لو كان يكلم نفسه) مستحيل ... إما الموت أو الموت ...

المدير – فكر يا حسن.

حسن – (مستمرا) إما الخازوق أو الخازوق.

المساعد – مصلحتك يا حسن ...

حسن – إما الخيانة أو الخيانة.

المدير – سننقذك يا حسن ...

حسن – هنا لا حل ... وهناك لا حل (منفجـرا) لا ... لا ... وألف لا ... وهاتوا ألف خازوق ...

المشهد الثاني

(المسرح مقسم إلى جزءين: غرفة السـجن حيـث حسن وممر أمام الغرفة يشبهه في الكآبة عندما يرفع الستار يكون الجندي داخلا ليتحدث مع حسن).

الجندي – يخرب بيتك ... حظك من السماء ...

حسن – صحيح

الجندي – لابد أن والديك كانا من الصالحين ودعيا اك كثيرا.

حسن – أنا؟

الجندي – طبعا

حسن – ولماذا يا حضرة الجندي هل وجدوا لـي خازوقـا حنونا يقتل دون ألم

الجندي – لا

حسن – لابد أنهم وجدوا دليلا ضدي

الجندي – ليس بعد

حسن – إذن لماذا تحسدني يا هذا؟

الجندي – (بعصبية مضحكة) اك زيارة

حسن – (بدهشة) زيارة ... زيارة لي أنا؟

الجندي – لسوء الحظ ليست لي أنا ...

حسن – يا سيدي اتكل على الله ... أنا كاللقيط بالضبط ... لا أهل لي

الجندي – (بنفس العصبية) زيارة يا حسن

حسن – الله ... لماذا ترقص هكذا ...؟

الجندي – (جادا) اخرس يا مسجون ... الحكومة لا ترقص أبدا ...

حسن – هل هذا معقول أريد أن أدخل قصر الوالي ... فيأتون بي إلى السجن لاكتشف أني في البيمارستان حكمتك يا رب. (هند تدخل).

الجندي – (بنفس العصبية) الزيارة.

حسن – (بدهشة شديدة) هند؟

(العسكري يمد يده ... هند تضع في يده دينارا ذهبيا يأخذه ويخرج ويلتفت لحسن)

الجندي – الزيارة

حسن – ماذا أتى بك إلى هنا؟

حسن – أنا ... أنا (بكبرياء) ما لك أنت وهذا ...

هند – عملت جريمة لابد ... آه منك ... آه

حسن – أنا لم أفعل شيئا ...

هند – أكيد سرقت ... (بلهجة خاصة) عارفاك ... إيـدك طويلة، يخرب بيتك

حسن – أنا لم أسرق في حياتي ...

هند – كذاب ... كذاب ... كذاب ... وهل أنا لا أعرفـك؟ (بنعومة) ألم تسرق الرمان من البستان؟ وكلما قلت لك: لا يا حسن ... تمد يدك وتسرق أكثر.

حسن – يا ست ماذا تريدين بالضبط؟ ألم تحلفي ألف يمـين: كل يا حسن خذ هذه يا حسن اشبع يا حسن.

هند – (باسمة) ولو ... لص

حسن – ماذا تريدين مني؟ هل أرسلك مدير السجن لتعذيبي

هند – وهل مدير السجن يحتاجني في أمـر كهـذا ... إنـه يمتلك الكثير ... غدا تعرف يا مسكين عضة كلـب تعترف أن والدك اسمه حسنية ...

حسن – يا ساتر

هند – التنقل بين الماء الساخن والبارد، تعترف أنـك قتلـت قابيل وهابيل.

حسن – كفى ...

هند – والنار ... الكي يا حسن ...

حسن – (صارخا) كفى

هند – طفلي المسكين خائف.

حسن – أنا لست خائفا ... أنا بريء

هند – وما أهمية ذلك؟

حسن – أنا بريء

هند – وهل يجب أن تكون مذنبا حتى تدخل السجن؟ في هذا الزمن الشاطر فقط هو الذي لا يدخل السـجن ... لا كل من دخل السجن مذنب ولا كل من لـم يدخلـه بريء.

حسن – أريد أن أعرف كيف جئت إلى هنا.

هند – بالقوة.

حسن – بالقوة؟

(الجندي يدخل ... هند تضع في يـده دينـارا ... الجندي يبتسم لحسن ثم يخرج).

هند – بقوة الدينار.

حسن – أنت ترمين بفلوسك في البحر ... لماذا؟

هند – غبية ... عقلي القاصر وسوس لي أن آتي إلى هنـا وأراك ...

حسن – لماذا؟

هند – لا أعرف ... فأنا لا أتعب نفسي في التفكير

حسن – أنت مجنونة

هند – وقلبي رقيق

حسن – ماذا تريدين مني؟

هند – أريد أن أتفرج عليك وأنت مثل العصفور في الفخ ...

حسن – تشمتين في؟

هند – إخص عليك يا حسن وهل أنا أشمت في أحد ... وفيك أنت بالذات ...

حسن – إذن لماذا جئت؟

هند – (بمرح) الم اقل لك عن السبب؟ لأنني لم أر سـجنا في حياتي

حسن – والآن رأيته ... مع السلامة.

هند – (تتطلع ضاحكة) أنت تنام هنا؟ مسكين يـا طفلـي العزيز

حسن – يا ست مع السلامة

هند – مسكين يا حسن ... ما الذي فعل بك كل هذا؟
حسن – لا أعرف ...
هند – كفى تخابثا ... (هامسة) قل لي ... لا أحد يسـمعنا ...
(الجندي يدخل ... هند تضع في يده دينارا يبتسـم لحسن ويخرج)
هند – جابي ضرائب ولكن بطريقة غير شرعية وإن كانـت منظمة جدا، أكثر من الطرق الشرعية ...
حسن – أكرمك الله بفضله امشي من هنا.
هند – أخاص عليك يـا حسـن ... لا تسـتطيع احتمـالي (بنعومة) يا نزيل السجون يا لص الرمان
حسن – إذا لم تنصرفي حالا، سأصرخ لأطلب الجندي ...
هند – دينار يعيده إلى حيث كان ... وعشرة دنانير تذهب به إلى السند ...
حسن – أريد أن أعرف: ماذا تريدين؟
هند – مصلحتك
حسن – مصلحتي أن تنصرفي الآن ... حتى أتفرغ للتفكيـر في المصيبة التي أنا فيها ...
هند – لن أنصرف من هنا إلا معك

حسن – (ساخرا) يا سلام علـى الشـهامة ... النبـل ... الفروسية ... الرجولة يا امرأة انطلقـي مـن هـذا المكان بأسرع ما تسـتطيعين فالزنزانـة المجـاورة فارغة وسعادة المدير لا يحب أن يرى مكانا فارغا.

هند – لا يهمك ... قل لي من الذي سجنك؟

حسن – الحكومة.

هند – أعرف ولكن من في الحكومة الوالي؟ الـوزير؟ هـذا الجندي؟ كل هؤلاء يسمون أنفسهم حكومة

حسن – مدير السجن

هند – لحسابه؟

حسن – مجهود شخصي

هند – سأذهب إليه ...

حسن – لمدير السجن؟

هند – سأشرح له براءتك

حسن – يا هند الحكاية ليست سهلة ... سعادة المـدير فـي حاجة إلى شخص ... بعد يـومين أو ثلاثـة علـى الأكثر سيجلسه على الخازوق ... أنا هذا الشـخص ... صعب عليهم أن يجدوا شخصا آخر ...

هند – ولماذا أنت بالذات؟

حسن – صدفة

هند – يبحثون عن آخر

حسن – هكذا بعد أن كتبوا استمارات ودخلت العهدة وسجلوا اسمي في الدفترخانة

هند – مهما حدث يجب أن تخرج من هنا ...

حسن – لماذا؟

هند – لماذا؟ الحرية شيء جميل

حسن – لقد فقدت الحرية يا هند ... ضاعت مني ... لن أحس بها مرة أخرى ... سيظل السجن داخلي ... ما يذهب لا يعود ...

هند – سأساعدك يا حسن ... سأقف إلى جوارك ... سأجعلك تنسى السجن ... سأعرفك مرة أخرى على الحرية.

حسن – فهمت ... إنه الحب

هند – (مستنكرة) وهل هذا معقول ... أنا فقط ... فقط ... أعطف عليك.

حسن – اسمعي ... أنا لا أحب أن يعطف علي أحد، ولا أن أعطف على أحد

هند – لكني أحب أن أعطف على احد وأن يعطف على أحد ...

حسن – هذا اسمه الحب.

هند – يا ذكي

حسن – لكنني لا أريد المشاكل ... من غير حـب دخلـت السجن، بالحب سأشنق سأجلس على الخازوق ...

هند – وهل هذا هو الحب؟ الحب شيء آخر ... الحب حياة ... جمال ... حرية ... الحب عصفور يغنـي ... شمس الصباح تلمس جبهة الدنيا ... نسـمة ناعمـة على شط البحر (بنعومة) أكل الرمان في البسـتان ...

(الجندي يدخل يمد يده ... هنـد تضـع فـي يـده دينارا).

هند – تأخرت هذه المرة.

الجندي – الشغل كثير سأطلب منهم أن يعينوا لـي مسـاعدا (الجندي يخرج).

حسن – (في غيظ) لقد دفعت حتى الآن أربعة دنـانير ... لقد عددتهم.

هند – فداك.

حسن – أنا لا أساوي درهما ...

هند – ربما ... لكنني أدفع من أجلك ألف ألـف دينـار أو أكثر.

حسن – لماذا؟

هند – لا أعرف ... ربما لأنني غبية ... أمي كانت تقـول عني دائما إنني غبية ... كلما لعبت مزقت ثيابي.

حسن – كنت تلعبين؟

هند – وأنا صغيرة

حسن – أنا عمري ما لعبت

هند – ولا يهمك عندما تخرج سنلعب

حسن – فات زمان اللعب

هند – أبدا لا يفوت يا عبيط ... لكن لكل سن لعب خـاص به ...

حسن – عندما يدخل إنسان هنا، لا يعرف إلى أين يخرج ...

هند – إلى البستان يا حسن ...

حسن – أنت مغرورة ...

هند – ستری ...

حسن – لكن لماذا؟ لماذا تهتمين بي كل هذا الاهتمام؟

هند – نسيت البستان يا حسن ...

حسن – ليلة وراحت لحالها ...

هند – كانت ليلة رائعة ...

حسن – ربما ... لكنها مرت ... انسيها

هند – أنساها؟ هكذا الرجال دائما ... آه يا خائن ...

حسن – (بفزع) أرجوك لا داعي لهذه الكلمة ... قولي أي شيء إلا هذه الكلمة ...

هند – لا تكن قاسيا ...

حسن – معقول ... (قاس) هذه لا بأس بها ... ومع ذلـك والله أنا لست قاسيا ... أنا قلبـي رقيـق كحريـر خراسان لكن الزمن لا يبقى شيئا على حاله ...

هند – منذ أن دخلت وأنت توبخني

حسن – معذور ...

هند – لا تقدر عليهم ... لكن تقدر على أنا ...

حسن – أنا أسف ...

هند – لست غاضبا مني؟

حسن – وهل هذا معقول؟ مستحيل أن يغضب سجين وامرأة مثل القمر تزوره على الأقل ترفـع روحـه المعنوية قبل تعليقه على سور المدينة ...

هند – حفظك الله يا حسن

حسن – (منفعلا) وصيتي يا هند إذا مت أن تقولي للعـالم كله أن الجراد سيهاجمنا ... وإذا لم يقاوموه من الآن لن يبقى على أخضر ولا يابس لن يبقى على الأرض حتى الإنسان.

هند – سلامة عقلك يا حسن ... أي جراد؟ أنا عارفـة أن السجن سيصيبك بالجنون ...

(الجندي يدخل ... هند تضع في يده ثلاثة دنـانير ... العسكري ينظر إلى النقود في حيرة).

الجندي – لا أستطيع تهريبه ... سيشنقوني من أجل ذلك.

هند – أريد أن تذهب بي إلى مدير السجن.

الجندي – وهل قصرنا لا سمح الله.

هند – لا ... ولكني أريد أن أقابله

حسن – وفري فلوسك يا هند ... مدير السجن لا يشتغل في أقل من ألف دينار ...

هند – دعني أفعل شيئا يا حسن ... قد أكون غبية ولكنـي أرى أن من لا يخطئ لا يستحق الخوف قـد أكـون غبية ولكنني أرى من لا يمرح لا يستحق الحزن ... قد أكون غبية ولكنني أرى أن من يحـب يسـتحق الحب.

(ستار)

المشهد الثالث

(غرفة مدير السجن، نفس المشهد الأول ...
مدير السجن ومساعده والعسكري).

المدير – (للعسكري غاضبا) النظام ... أساس عملنا هنـا
هو النظام ... لا زوار يا غبي.

المساعد – البند رقم 4 من الباب التاسع في مرسوم إنشـاء
السجن ...

الجندي – لكنها امرأة ...

(المساعد يبتسم في خبث ... المدير يرتبك قليلا ثم
يصيح بغضب).

المدير – وامرأة أيضا ...

المساعد – البند رقم 9

المدير – قلت لكم ألف مرة إن هناك ثلاثة أماكن لا تـدخلها
المرأة: السجن والسفينة والبيمارسـتان ... ممنـوع
ممنوع ... وغير ممكن أيضا ...

المساعد – (للجندي) جميلة؟

الجندي – قمر ...

المدير – جريمتان ... جريمتان

المساعد – اهدأ يا سعادة المدير.

المدير – أهدأ؟ أهدأ والسجن أصبح فوضى؟ امرأة ماذا يحدث؟ لو أنهم فصلوني من عملي لكان الحق معهم. لا ... لن أسمح لكم بالضحك على ذقني ... من اليوم سيعود النظام للسجن ... سأشنق منكم كل يوم واحدا ... أو اثنين ... لابد من التحقيق في موضوع هذه المرأة حالا (للجندي) أدخلها ... (الجندي يخرج).

المدير – أيتها السيدة ... كيف دخلت إلى هنا؟

هند – (باسمة) صباح الخير

المدير – اجلسي حتى نبدأ التحقيق

هند – كفى الله الشر ... أي تحقيق؟

المدير – ألا تعرفين يا ست أن دخولك هنا جريمة ... جريمة هائلة جناية.

هند – لماذا؟

المدير – أنت تدمرين النظام (يتأملها) تدمرين كل شيء ...

المساعد – البند (4) يمنع دخول أي زائر ... والبند (9) يمنع المرأة بالذات

هند – (بدلال) حتى لو كانت سجينة؟

المدير – السجون لا تدخلها النساء ... يدخلها صنف ثالث لا هو بالرجال ولا بالنساء حاولي أن ترى واحدة منهن ثم انظري في المرآة ستجدين أن النسوة لا يـدخلن السجن شيء آخر يدخل السجن.

(الجندي يبتسم سعيدا)

الجنـدي – صـحيح والله ... فـرق كبيـر بـين النسـاء والمسجونات

المدير – (غاضبا) لماذا تقف هنا؟

الجندي – (مرتبكا) أنا ...

المساعد – أنت تلقن الشاهدة يا ولد؟

الجندي – أبدا والله

المساعد – اذهب من هنا فورا ...

المدير – ولي حساب معك فيما بعد

(العسكري يخرج)

المدير – (جادا) ما هي القصة يا ست فتنة؟

هند – (بدهشة) ليس اسمي فتنة؟
المدير – لابد أن يكون اسمك فتنة، وقد أحدثت في السـجن فتنة (هند تضحك ضحكة عالية)
المساعد – ومظاهرة أيضا.
هند – القصة بسيطة جدا يا سعادة المدير
المدير – أنا فعلا أريد أن أعرف القصة ...
هند – أتيت لأزور أخي ...
المدير – أخوك؟
هند – نعم فهو مسجون هنا
المدير – مسجون ... أخوك أنت مسجون؟ (للمساعد) يبدو أن الفوضى قد عمت السجن تماما ...
المساعد – بالتأكيد مظلوم
هند – مظلوم طبعا
المدير – ما هي جريمته؟
هند – لم يرتكب جريمة ...
المساعد – كثيرون عندنا جريمتهم أنهم لم يرتكبوا جرائم
المدير – ما هي تهمته؟
هند – لا أعرف

المدير – يا مساعد ... اطلبه واسأله ...

هند – أخي لا يعرف تهمته ... (المساعد يذهب إلـى رف ويأتي بملف)

المساعد – لا يعرف تهمته ... بسيطة ... ملف رقـم 7 ... كل شيء عندنا بنظام ...

المدير – ما اسمه؟

هند – حسن ... حسن عبد الله ...

المساعد – ح ... ح ... ح ... (ثم مصابا بخيبـة أمـل) حسن عبد الله (للمدير) إنه صاحبنا ...

المدير – متأكد.. (لهند) أخوك اسمه حسن عبد الله

هند – (بدلال) وأنا اسمي هند ...

المدير – وهو حسن ... أنت هند ... هند عبد الله ...

هند – طبعا ... طالما أن أخي اسمه حسن عبد الله ... فلابد أن اسمي هند عبد الله

المساعد – من عائلة محمد المعروفة؟ (هند ترتبك قليلا ثـم تتماسك).

المدير – في الحقيقة أخوك ولد طيب

هند – وغلبان ... في حاله ... لا يهش ولا ينش

المدير – طيب ... طيب جدا ...
المساعد – نحن عندنا أحسن مساجين في العالم كله ...
المدير – لكن حسن أطيبهم ...
هند – أيرضيك يا سعادة المدير أن شابا طيبا مثله يلقى فـي السجن؟
المدير – لو أن أخاك قتل نصف أهل المدينة لما أرضـاني بقاؤه في السجن ليلة واحدة ... لأنه أخوك
هند – نصرك الله على أعدائك ... أفرج عنه ...
المساعد – مستحيل ... إنه حسن بطل اللعبة الكبيرة ...
المدير – آه ... طبعا ... مستحيل ...
هند – أيرضيك يا سعادة المدير أن أرملة في سـني تعـيش وحدها في بيت طويل على مشـارف المدينـة ... وليس معها رجل يحميها
المدير – (بفضول) أنت تعيشين وحدك؟
هند – ليس معي سوى خادمة ... بنت لعوب ... تأخذ أجازة كل خميس وجمعة؟ لماذا؟ لكي تبيت عند أمهـا ... لكنني اكتشفت أن أمها ماتت منذ عشر سنوات هـل تصدق يا سعادة المدير؟

المدير – معنى هذا أنك تكونين في البيت وحدك ...

هند – لا تتصور مدى خوفي ... خائفـة مـن اللصـوص والشطار وقطاع الطرق ... والطامعين في أرملـة جميلة

المدير – بصراحة هذا ظلم ...

المساعد – حتى لو كان حسن لم يفعل جريمة وهذا في حـد ذاته جريمة كبرى ... يجب الإفراج عنه ... عوامل إنسانية ...

المدير – ومن غيرنا (يحتضن) العوامل الإنسانية ...

هند – (فرحة) ربنا يطول عمرك يا سعادة المدير ... ربنا يكرمك يا سعادة المساعد ...

المساعد – لكن النظام ... النظام فوق كل شيء ...

هند – لا أفهم

المساعد – خروجه بميعاد ... لدينا كل شيء له مواعيده ...

هند – (بخيبة أمل) ألن يخرج معي الآن؟

المساعد – هذه هي الفوضى بعينها ...

هند – إذن متى يخرج؟

المساعد – يوم الجمعة

المدير – (للمساعد) ولماذا يوم الجمعة بالذات؟

المساعد – لأن الخادمة تأخذ أجازة ليلة الخميس

هند – مال الخادمة وحكايتنا هذه

المدير – كل شيء بنظام ...

هند – لكن يوم الجمعة بعد ثلاثة أيام ... الزنزانة باردة على حسن

المدير – اطمئني ... سآتي لك يوم الخميس ومعي صك الإفراج

هند – بنفسك؟

المدير – لتتأكدي ... أخاف أن يكون لديك شك أو ريبة!!

هند – أليس أفضل أن آتى أنا ...؟

المساعد – هذا يغير من الإجراءات ويتناقض مع نصوص الفرمان السلطاني الصادر في عام 601 والتفسير الصادر في عام 609 وتفسير التفسير ... و ... و ... الخ. ومعنى هذا أن يخرج أخوك بعد سنة.

هند – سنة ...

المدير – المساعد لم يكلمك عن شرح تفسير التفسير ... ممكن أن يخرج بعد سنتين ... أو أكثر ...

أين البيت؟
هند – آخر بيت في شرق البلد ... على شاطئ البحـر ... قبل السور الأبيض مباشرة له حديقة جميلة ... مليئة بشجر الرمان ...
المدير – وأنا أحب الرمان ...
هند – لكن ماذا يقول الناس ...
المدير – الناس يقولون أي شيء إلا عن مدير السـجن ... يخافون مجرد التفكير فيه
المساعد – أنصح أن تكون الزيارة بعد المغرب مباشرة ... لدينا إحصاءات دقيقة عن تحركات الناس ... يمـر في هذا المكان وفي هذا الوقـت ثلاثـة أشـخاص ونصف في الساعة ... وهي نسبة ضئيلة جدا
المدير – هذا هو الوقت المناسب ...
هند – يخيل إلى أن سعادة المدير له هدف ما
المساعد – اسمعي يا ست هند ... بذمتك هـل قابلـت فـي حياتك رجلا لم يكن له هدف ما ...
المدير – وأنا مثل أي رجل آخر ... وأسوأ ...
هند – أن هذا الكلام يصيبني بالخجل ...

المدير – وهذا بالضبط ما أقصده ... لذتي أن أجعل النسـاء يخجلن، والمساجين يصابون بالذعر والناس يخافون، بالمناسبة أنا أحب اللحم جدا ...

هند – (بدهشة) أي لحم؟

المدير – كل أنواع اللحم ... الخراف ... الماعز ... الثيران ... البشر ... لكنني سآتي بالنبيذ معي

هند – ألا يرى سيدي المديرأأنه يستغل الظروف؟

المدير – أرى هذا طبعا ...

المساعد – غبي من لا يستغل الظروف ... ومع ذلك فسعادة المدير لا يستغل الموقف تماما ... سيأتي بالنبيذ معه والنبيذ غال في هذه الأيام ...

المدير – ألا يكفي أنني سأفرج عن أخيك ... وأسعدك فـي نفس الوقت؟

هند – تسعدني؟

المدير – طبعا ... ألست أرملة جميلة ووحيدة ومحتاجة إلى ... إلى مدير سجن

هند – يخيل لي أن هناك خطأ ما

المدير – لا تستسلمي للتخيلات

هند – لماذا تضع زيارتك كشرط للإفراج ... العلاقة السليمة بين رجل وامرأة يجب أن تكون بلا شروط

المدير – ماذا تقصدين؟

هند – أفرج عن حسن ودعني بعد ذلك اختارك ... سـيكون آنئذ اختيارا لشخصك وليس لنفوذك ...

المدير – أكون حمارا ...

هند – لماذا؟ ألف امرأة تتمناك.

المدير – هذا هو الكلام الحلو الذي لا يصل إلى نتيجـة ...
أنا بدون نفوذي لا أساوي بصلة اسمعي يا ست ...
أنا رجل منظم جدا ... النظام أهم شيء ... الصـك
أوقعه صباح الخميس ... الزيارة بعد المغـرب ...
الإفراج يوم الجمعة ... مستحيل أن أغير هذا النظام
... لو غيرته لن أصل إلى شيء ... أنـا أعـرف
نفسي جيدا ...

هند – (بدلال) ألا تخشى أن أشتكيك

المساعد – (يضحك بسخرية) كل شيء بنظام ... وحساب ... هل نسيت أن أخاك بين أيدينا

المدير – ويبدو أنك تحبينه جدا ...

هند – وهل ضيعني إلا حبه ...

المدير – اتفقنا ... مع السلامة وإياك أن تعودي إلى هنا ... ممنوع منعا باتا دخول النساء إلـى السـجن (هنـد تخرج ... المدير يفرك يديه في سعادة)

المدير – متى يأتي يوم الخميس ...

المساعد – لابد أن يأتي لا يتأخر أبدا ...

المدير – يا لها من امرأة ... لم تمر بي امرأة مثلها

المساعد – صاعقة

المدير – (يربت عليه مداعبا) بذمتك ألم يجر ريقك عليها

المساعد – جرى ...

المدير – لماذا لا تأتي معي؟

المساعد – هل ترى من الصواب أن يكون مساعدك معـك حتى في هذه المسائل؟

المدير – لا ... سخيفة فعلا ... عنـدي فكـرة ... نؤجـل الإفراج عن الولد أسبوعا واذهب الخميس التالي

المساعد – الولد لن يفرج عنه يـا سـعادة المـدير لا هـذا الخميس ولا الذي بعده ... ولا أي خميس آخر

المدير – لا أفهم ...

المساعد – اذهب سعادتك إلى حيث تشـاء ... ولكننـا لـن نضيع حسن أبدا ... إنه بطل اللعبة الكبيرة الدجاجة التي تبيض ذهبا ...

المدير – لكني وعدتها ...

المساعد – وعد القوي للضعيف ... الوعد الحقيقي هو لمـن كان مثلك أو أقوى منك ... ما قيمة الوعد يا سـيدي إذا كان لمن لا يستطيع إجبارك على تنفيذه ...

المدير – وهند؟

المساعد – اذهب لها يوم الخمـيس ... يـوم الجمعـة ... ستصبح مثل أي امرأة أخرى ... ستصبح بلا طعـم وقبل يوم الجمعة سيكون حسن قد اعترف بـإذن الله وربنا يسهل، ونجلسه على الخازوق يوم السبت ...

" ستار "

الفصل الثاني

(وفيه يقص الفقير إلى الله تعالى ما وقع لحسن المراكبي من أهوال، وما لاقت الأرملة الحسناء من صعاب. وبيان طرائف العصر والأوان والله المستعان).

المشهد الأول

(ديوان المحتسب، الكاتب وهو نفسه المساعد في الفصل الأول – هند)

الكاتب – (عصبيا) يا ست أقسم برأس أبي أنني لم أرك من قبل.

هند – لماذا تنكر نفسك يا سعادة المساعد ... هل عملك هذا أفضل من عملك كمساعد لمدير السجن والله كانت هيبتك هناك أكثر ...

الكاتب – أنت مجنونة قطعا ... لأنني لم أدخل السجن في حياتي ... ولا سرت بجانبه ... ولا مررت في الطريق القريب منه ... بل ولا أعرف شكله ...

هند – العقل يا رب ... لقد كنا معا في الصباح

الكاتب – أؤكد لك أنني لا أستطيع الاقتراب من السجن لأسباب خاصة ...

هند – بعيني هاتين رأيتك يا رجل ...

الكاتب – لو أنني مررت بجوار السجن فلابد أن يجد لي المدير تهمة أو ربما سجنني من غير تهمة بينه وبين

سيدي المحتسب ما صنع الحداد ... بـل والنجـار أيضا ... المدير يكره المحتسب وأنـا مـن رجـال المحتسب ... يده اليمنى ... المدير يريـد القضـاء على حتى يصبح سيدي المحتسب بيد واحدة ...

هند – عقلي

الكاتب – لا تنخدعي إذا مـا رأيتهمـا صـديقين ودوديـن يجمعهما الكأس والضحكة ... والنسـب أيضـا ... علية القوم عندما يكرهون علية القوم، يهجمون عليهم بالقبل وهذا ما يسميه الحكماء بالسياسة (المحتسـب يدخل ينظر إلى هند باشمئزاز)

المحتسب – ماذا تريدين يا ست (تهم بالكلام) ألا تستطيعين الاحتشام قليلا ... أليس لك رجل يملك عصا ينهـال بها عليك حتى يؤدبك؟ أنصحك أن تخرجي لتشتري العصا وتعطيها لزوجك هدية، فلا عيب في أن يسعى الإنسان لتأديب نفسه ...

هند – ما هذا كله يا سيدي المحتسب ... إن الأمر لا يستحق كل هذا لقد جئت أقدم شكوى.

المحتسب – أستغفر الله العظيم ... الشكوى لغير الله مذلـة ...

هند – وأنا قد ذللت يا سيدي المحتسب ...

المحتسب – لا قدر الله قولي إنك توهمت فقط ... بحمـد الله وفضله يسود العدل أركان الولاية ومع ذلك فأنت قد أخطأت الطريق يا امرأة ... من لديه شكوى يقدمها للقاضي ...

هند – ذهبت إليه فلم أستطع الدخول؟

المحتسب – ولماذا؟

هند – كانت هناك قضية كبيرة ... سنجق قتل سنجق آخـر ... ومماليك الطرفين يزحمون المكان

المحتسب – كان عليك أن تنتظري ...

هند – انتظرت فقتل خليفة السنجق المقتول خليفـة السـنجق القاتل ... ولم أستطع الانتظار أكثر من ذلك خشـية ألا ينتهي القتل ... فجئت إليك يـا حـامي حمـى المظلومين.

المحتسب – إننا نتعدى بذلك على سلطان القاضي ... ألـيس كذلك أيها الكاتب؟

هند – (بدهشة) هو يعمل كاتبا هنا؟

الكاتب – من سلطات سيدي المحتسب أن يضبط المخالفـات والجرائم ولعل هذه السيدة تعرض شـيئا مـن هـذا القبيل ...

هند – نعم ... من هذا القبيل ...

المحتسب – تكلمي يا امرأة ... لكن باختصار. لم يعد سوى دقائق على صلاة العصر ...

هند – باختصار شديد يا سيدي: مدير السجن ...

المحتسب – (باهتمام شديد) مدير السجن؟ ماذا حدث؟

هند – يريد أن يأتي إلى بيتي ...

المحتسب – لماذا؟

هند – أمر لا يحتاج إلى شرح ...

المحتسب – هكذا ... يريد أن يأتي لك البيت لكي ... نهاره أسود ... سأسجنه إن شاء الله ابن نعيمه العوادة ... هل تعرفين أن أمه كانت عواده؟ تللم ... تللم ... ما علينا قولي ماذا فعل ... قصي علـى كـل شـيء بالتفصيل ... أريد كل شيء بدقة ...

هند – إنه يريدني ...

المحتسب – يريدك؟ كيف؟ احكي بالتفصيل ...

هند – لا أستطيع ...

المحتسب – لا حياء في الشكوى يا بنت ... تكلمي

هند – منذ وقت طويل وهو يتابعني

المحتسب – منذ متى؟ الدقة مهمة جدا هنا ...

هند – من سنة ... لا ... من سنة ونصف وهو يحاول ...

المحتسب – (مقاطعا) يحاول سنة ونصف ... مستحيل ... لابد أن شيئا حدث ... لا تخجلي تكلمي ...

هند – لم يحدث شيء وشرفك يا سعادة المحتسب ...

المحتسب – أأنا لا أعرف ابن نعيمة العوادة؟ سنة ونصف يحاول؟ مستحيل طبعا

هند – هذا ما حدث ...

المحتسب – يا ابنتي كوني صادقة وسندفع به إلى حيث لا رجعة ... المهم ... ثم ماذا حدث؟

هند – قلت له لا يا مدير ... مستحيل يا مدير ... أنا ست شريفة يا مدير ... وهو يزداد إلحاحا ...

المحتسب – أعرفه لا يباريه أحد في الصفاقة

هند – لما يئست ...

المحتسب – هل يئست؟ ألم أقل لك كوني صادقة ...

هند – لجأت إلى أخي حسن، قلت له يا حسن أنقـذ أختـك العفيفة من هذا الوحش، تصدى له حسن كالأسد ... لكن المدير الملعون قبض عليه وسجنه ...

المحتسب – ثم؟

هند – قال لي يا هند إما أن يحدث ما لا أستطيع أن أقولـه أمام مولاي المحتسب ... وإما أن يظل أخـي فـي السجن.

المحتسب – إبليس وعينوه مديرا ... مـا زال أخـوك فـي السجن؟

هند – ينام على الأرض ... يا عيني ...

المحتسب – بماذا اتهمه ابن نعيمة العوادة؟ أكيد لفق له تهمة ... فهو خير من يلفق ...

هند – أبدا ما زال حتى الآن يبحث له عن تهمة.

المحتسب – مدهش ... رغم أن التهم عنده جاهزة وكثيـرة ولا يجد لها عددا مناسبا من المتهمين

هند – حسن لم يفعل شرا في حياته

المحتسب – لا أهمية لذلك عنده ... (للكاتب) هل عبـاءتي جاهزة (لنفسه) ضاع ابن نعيمة العوادة ... إنـا لله

وإنا إليه راجعون (للكاتب) هات العباءة أنا ذاهـب للوالي فورا (لهند) ظلي هنا (للكاتـب) أسـرع (لهند) الأفضل أن تأتي معي (لنفسه) نهايتك على يدي يا ابن ترم ... ترم ... تـرم ... (للكاتـب) العباءة.

الكاتب – اهدأ ...

المحتسب – ماذا تقول يا ولد

الكاتب – أقول إن مولاي المحتسب لو فكر قليلا سيجد حـلا آخر ...

المحتسب – أي حل آخر يا ولد؟ أنهـا فرصـة العمـر ... خمس سنوات وأنا أنتظر مثل هذه الشكوى ... لـو كان حظه حسنا سيحال إلى التقاعد ... لو كان حظه كما أتمنى سيشنق ...

الكاتب – يبدو أن سيدي المحتسب نسى جنـاح رقـم 4 ... قصر إلى جوار قصر مولاي المحتسب ورفـض أن يبيعه ...

المحتسب – كان يكشف الحريم فوق السطوح ... لـم يكـن يعجبه إلا الهواء العليل في الطابق الثاني ...

الكاتب – لكنه دخل السجن بلا تهمة ولا أوراق ... مجرد مجاملة لمولانا المحتسب ... المسجون الثاني أحمد التقى

المحتسب – لعنه الله كان يغش الخمر ... كان يفسدها بقدر من الماء وآخر من الكحول ... فتصبح بلا طعم وتجرح الحنجرة كالنار ...

الكاتب – وكيف عرفت كل هذا؟

المحتسب – اخرس

الكاتب – سيقول أحمد التقى إنك كنت تشتري الخمر منه ويشهد على ذلك مدير السجن ومساعده ويقسمون جميعهم ... المسجون الثالث عبد المنعم صبحي ... ضبطه مولانا الثالث في الحرملك ... فضيحة ... والفضيحة الأكبر أن سيدي المحتسب تغاضى عن الموضوع ... وعاد إلى حريمه كما كان ... والمسجون الرابع ...

المحتسب – كفى ... كفى ...

الكاتب – جناح كامل لحساب سيدي المحتسـب ... سـبعة عشر ... مات منهم ثلاثة من الدهشة وبقى أربعـة عشر

المحتسب – الأمر يحتاج إلى تفكير ... تفكير عميق

هند – تفكير؟ ألن تسجن مدير السجن؟

المحتسب – لقد سمعت بنفسك يا امرأة أدخلنا السجن بعـض السفلة الفاسقين بضمير مستريح ... لكن قد يكـون للوالي رأي آخر ...

هند – عدل أو لا عدل ما فعلته؟

المحتسب – عدل والله ...

هند – وهل تخاف العدل؟

المحتسب – أنا لا أخاف العدل ... ولكن للمسألة جوانبها ...

هند – العدل له جانب واحد يا سيدي ...

المحتسب – العدل ليس مجرد كلمات تقال ... العـدل لـيس سيفا قاطعا ... العدل شرطه الحكمة ...

المساعد – العدل شرطه الحق ...

المحتسب – مازلت صغيرة ... لا تدركين مثل هذه الأشياء ...

هند – (ساخرة) أين أنا من الحكمة ... مولاي المحتسـب وحده الحكيم ... حكيم منذ الصـغر ولـذلك صـار محتسبا ... ملعونة تلك الحكمة التي لا تجعل الرجال رجالا ...

الكاتب – كوني مؤدبة يا بنت ... هناك غرفتان خاليتان في جناح رقم 4

هند – عندما يفكر المحتسب حارس العدل في الحكمة بـدلا من أن يفكر في العدل، فقل علينا السلام ... على من ليس له سلطان، ومن ليس في حمى السلطان ...

المحتسب – غباء أن ننطح رؤوسنا في الصـخر، غبـاء أن نتحدى الأقوياء ...

هند – أين هم الأقوياء؟ إن القوى من يستطيع أن ينظر فـي وجوهنا دون خجل، دون أن تطرف عيناه إحساسـا بالذنب. أنهم ضعاف ... ضـعاف جـدا ... مـدير السجن ضعيف لأنه فعل شيئا تستطيع به أن تدفعـه إلى السجن ...

المحتسب – لا أستطيع ...

هند – عندما يكون الحارس واللص سواء فلا طريق أمامنـا سوى العذاب

المحتسب – سنصل إلى رضاك ... سنرضيك ... سـأقابل مدير السجن ليفرج عن أخيك ... سأقنعه لي أفضال عليه

هند – وهكذا أكسب القضية وتخسرها أنت

المحتسب – (صارخا) ماذا تريدين مني؟

هند – (بهدوء) العدل

المحتسب – العدل ... ولماذا تطلبين العدل مني أنا بالذات؟

هند – لأنك المحتسب حارس العدل في البلاد

المحتسب – هل تتصورين المحتسب يعيش في برج عـاجي أو جالس على سحابة بيضاء أو ناسكا فوق الجبال أنا موظف في الدولة ... أعطوني عصا أحمـى بهـا العدل مقابل راتب شهري تدفعه الدولة. هل تعـرفين معنى الدولة؟ أنها الوالي والحاجب والوزير والقائـد والكاتب والمحظية وألف شـخص آخـر ... كلهـم يريدون العدل ويصرون عليـه بشـرط ألا يمـس مصالحهم ... وإذا خرج ألف شـخص مـن دائـرة

العدل لن يستطيع سليمان الحكيم نفسه أن يقيم العدل ...

هند – ارفع عصاك عليهم ... تكون الأقوى

المحتسب – عنقي سيكون الثمن

هند – ألوف وألوف سيرفعون سيوفهم دفاعـا عنـك لأنـك تحمي العدل

المحتسب – (ساخرا) والله ... وهل تظنين أنهم سـيقولون إننا نشنق المحتسب لأنه يريد العدل

الكاتب – سيقولون إن مولانا المحتسب يتسلل إلى الأسـواق لصيد العذارى أو أنه اختلس فلوس بعض اليتامى

المحتسب – أو ربما قـالوا إننـي عميـل لدولـة أجنبيـة، ويصادرون أموالي، ويسجنون أولادي.

الكاتب – والذين تتكلمين عنهم سيكونون أول مـن يهتفـون مطالبين بدمه. وتكون مشكلة الدولـة حمايتـه مـن الغوغاء ...

هند – ما هذا؟ تقصد أن ظمأ الناس إلى العدل مـن يـروي أبدا؟ أن السنين الطويلة هو مجرد سحاب لن تلمسـه كف؟

المحتسب – يكفينا ما نستطيع وأنا قادر على أن أدبـر لـك العدل ...

هند – العدل الناقص يرضيني ... ولكن هل يرضيك أنت؟

المحتسب – يا ابنتي ... لقد أصبحت ولا شيء في الدنيا كلها يرضيني ... ومع ذلك فأى شيء يرضيني

هند – قلبي معكم يا سيدي المحتسب ...

المحتسب – عندما أرى امرأة مثلك مكانها القصور لا الجري في الطرقات بحثا عن الطمأنينة أحس أن قلبي معها

الكاتب – وهكذا تبدأ الحكاية ...

هند – أية حكاية ...

الكاتب – كان يا ما كان في سالف العصر والأوان محتسـب قلبه مع امرأة جميلة حسناء ...

المحتسب – اخرس يا ولد ...

هند – مولانا المحتسب ليس مثل هذا الصنف؟

الكاتب – وهذا يؤكد أن الخبث وراثي في النسوان ...

المحتسب – إن لم تصمت سآمر بسحبك ..(لهند) ما اسـم أخيك

هند – حسن عبد الله ...

المحتسب – سأذهب إلى مدير السجن بنفسي، وأبتلع كرامتي، وأتودد إلى ابن العوادة. تلم ... تلم ... تلم ... وآتى لك بصك الإفراج ...

هند – ومتى آخذه؟

المحتسب – الليلة ...

الكاتب – لا ينسى مولاي أن الديوان لـن يكـون مفتوحـا فالحارس ينصرف بعد صلاة العصر ... وأنـا لـن أكون موجودا ...

المحتسب – الديوان سيكون مغلقا ... ليكن ... سأصف لـك بيتي ... (الكاتب يسعل) اخرس أنت (لهند) هل تعرفين قصر الحاجب؟

هند – لا ...

المحتسب – هل تعرفين السبيل؟

هند – أعرفه ...

المحتسب – إلى جواره قصر مبني بالقرميد ...

هند – أنا لا أعرف القرميد ... ولكنني أعرف قصر شهبندر التجار ...

المحتسب – تقصدين شهبندر التجار القديم ... إنه هو نفسه.

الكاتب – (في تخابث) كنت أظن قصر مولاي في غـرب المدينة ...

المحتسب – وما دخلك في هذا يا سافل ...

الكاتب – قل كل شيء للست بوضوح ... ليس أفضل مـن الوضوح مع امرأة تطلب العدل الكامل ...

المحتسب – أستغفر الله العظيم ... وهل أنا ممن يخـدعون الناس وهل أنا مثل مدير السجن، أن غرضي شريف ... (لهند) هل أنت متزوجة أم عزباء؟

هند – عزباء ...

المحتسب – بكر أم ثيب؟

هند – الثانية ...

المحتسب – مطلقة أم أرملة؟

الكاتب – دلوني على المجنون الذي يطلق امرأة كهذه؟

هند – أرملة ...

المحتسب – عقد القران غدا ... إن شاء الله ...

هند – (بدهشة) عقد القران؟ قران من على من؟

المحتسب – أنا وأنت ...

هند – (بدهشة، وللكاتب) هل تفهم شيئا ...

الكاتب – كوني غبية جدا، فتفهمين.

المحتسب – يا ابنتي ما أطلبه بسيط جدا ... زواج على سنة الله ورسوله.

هند – لكنني لا أريد الزواج.

المحتسب – عظيم ... نطلقك بعد غد ...

هند – زواج بالليل وطلاق بالنهار ...

المحتسب – ونعطيك مؤخر الصـداق والنفقـة ... وصـك الإفراج ...

هند – أي زواج هذا؟

المحتسب – افهمي يا بنت ... مولانا المحتسب عينه منك.

هند – (ساخرة) طيب ... ولماذا كل هـذا التعـب؟ عقـد وشهود وتكاليف نفقة ووجع قلب.

المحتسب – أستغفر الله العظيم أنا آبي الحرام ...

هند – تأبى الحرام؟ وهل ما تريده حلال ...

المحتسب – حلال يا شابة حلال ...

هند – وطبعا عندك فتوى ...

المحتسب – ألف ...

هند – ومع ذلك فهو في رأيي حرام ...

المحتسب – يا ساتر ... اللهم ارفع غضبك ومقتك عنا ... يا ابنتي لا تحرمي ما أحل الله

هند – لا تحلل الحرام يا رجل ...

المحتسب – يا ابنتي إنه زواج قائم على كل شروط الزواج: العرض والقبـول والإشـهار ... الكاتـب شـاهد والبستاني شاهد ...

الكاتب – لقد شهدت عشرات المرات في مثل هذه الأحـوال ولا تنسى يا فتاة: المهر ومؤخر الصـداق والنفقـة كيس ثقيل يجعلني أندب حظي يوم أن ولدت رجـلا ...

هند – رأسي يدور ...

الكاتب – أرى إن كان لي أن أنصحك أن عـرض سـيدي المحتسب أشرف قليلا من عرض مدير السجن.

هند – هكذا يا حسن ... ماذا جنيت حتى تضعني فـي هـذا الموقف ...

المحتسب – خذي الأمور ببساطة يا ابنتي ... اسـبحي مـع التيار ... لا تتعبي نفسك ... عندما كنت في سـنك كنت أرى الأشياء إما بيضاء وإما سوداء ... الخير دائما أبيض والشر دائما أسـود ... لكـن الـزمن

يضعف البصر يمتزج الأبيض بالأسـود ... الحـق بالباطل زمن رمادي ... كل شيء يساوي لا شـيء ... عندما تصبحين في سـني ستكتشـفين أنـك لا تخسرين شيئا عندما تتهاونين، وأنك لا تكسبين شيئا عندما تتحدين الدنيا كلها ... عندما تصـبحين فـي سني ستعرفين أن زماننا هذا هو زمن رمادي ...

هند – اك منطق محكم يا سيدي المحتسب ... أنت مقنع جدا ... يبدو أنني لا أقابل في يومي هذا إلا العقلاء ... نحن بسطاء الناس ليس علينا أن نفكر أو نناقش ... علينا أن نقتنع فقط.

الكاتب – عاقلة ... والعقل ضروري في الأزمنة الرمادية.

هند – ومع ذلك فلي بعض الأسئلة: أضروري أن يتم الزواج في قصرك ... هذا الذي في القرميد

المحتسب – ليس شرطا ... لكنه قصر فاخر ... كأنه الدنيا ... حراس قبارصة جواري روميات ... سـجاجيد فارسية فواكه مغربية ... أطعمة شامية ...

هند – بيتي متواضع ليس فيه سوى أرملة وحيدة ... لكننـي مع ذلك أحبه.

المحتسب – أنت الدنيا كلها (الكاتب يسعل) يا ابنـي لقـد انتهى وقت العمل ... اتكل على الله ... الديوان لن يدفع لك درهما زيادة عن راتبك ...

هند – أفضل أن يتم إذن العقد في بيتي.

المحتسب – أقبل كل شروطك ... ثم إن التغيير لابد منه بين الحين والحين.

هند – ما دمنا قد اتفقنا أسير إلى بيتي ...

الكاتب – تسيرين؟ تكون الفوضى بعينها ... كيف تسيرين يا هانم ... لابد أن تركبي محفة فخيمة هل أنت مجرد امرأة من المدينة يحق لها أن تمشي على قدميها. إنك ستكونين بعد بضعة أيام مطلقة مولانا المحتسب ...

(ستار)

المشهد الثاني

(ديوان الوزارة. حركة وضجة. مجموعـة من الجواري. نخاس).

وهند داخلة تائهة لا تعرف من تكلم تصطدم بوزير الوزير وهو نفسه المسـاعد والكاتـب فـي المشاهد السابقة).

هند – أنت؟ قل لي إنك لست أنت.

و. الوزير – بنظام ... قفي في الصف يا ست ... مـولاي الوزير أعزه الله على وشك الحضور ...

هند – قل إنك لا تعرفني ...

و. الوزير – (ساخرا) وكيف لا أعرفك يا سـت الحسـن والجمال ... الست بنت السلطان؟

هند – نسيتني؟ نسيتني يا رجل؟.

و. الوزير – الصبر ... الصبر يا رب ... وقتي لا يسـمح لي بالمداعبات ... قفـي فـي الصـف وخلصـينا (للنخاس) يا جوهر ...

جوهر – أمر سيدي وزير الوزير ...

و. الوزير – خذ هذه البنت عندك ...

جوهر – إنها ليست من الجواري ...

و. الوزير – ليست من جواريك؟ (لهند) من جواري من أنت يا بنت؟

هند – من جواري نفسي.

و. الوزير – حلوة ... أول مرة أشوف واحدة هي الجارية وهي النخاس في نفس الوقت. التجارة تقدمت يا سادة.

هند – يا عم أنا لست جارية.

و. الوزير – إذن لماذا أنت هنا؟

هند – جئت أقدم شكوى ...

و. الوزير – وهل ترين الوقت مناسبا للشكاوى ... لا أحد يحب المعزين في الأفراح.

هند – أليس هذا هو المكان المناسب الذي يقابل فيه الوزير المظلومين؟

و. الوزير – (ساخطًا) هو

هند – خلاص ...

و. الوزير – نصيحتي لك أن تعودي في وقت آخر ...

هند – لن أخرج من هنا قبل أن يسمعني الوزير ...

و. الوزير – إذن ابقي هنا حتى أفرغ لك ... أنا أعرف هذا الصنف اللحوح ... (للجميع) النظام النظام يا غجر (هند تعود للاقتراب منه).

هند – قل لي يا ... قل لي هل فتحوا سوقًا هنا؟

و. الوزير – (ضاحكا) سوق. حق أنت عبيطة ... لا سوق ولا دكان يا بنـت ... مـولاي الـوزير أعـزه الله غاضب على أهل بيته ... ولذلك قرر شراء طـاقم جديد من الجواري ...

هند – طاقم جديد؟

و. الوزير – مولانا الوزير أعزه الله لديه 365 جارية بعـدد أيام السنة ... فهو يفضل التاريخ بتقويم عمر الخيام بدلا من التقويم القمري.

هند – لكن السنة 365 يوم وربع.

و. الوزير – ألا يستريح أبدا ... ربع يوم يستريح فيـه ... مسكين مولاي يحسدونه على ربع يوم راحة ...

هند – لكن مولانا الوزير ...

و. الوزير – أعزه الله ...

هند – (تكمل) عندما يشتري جواري جديدات سيضـطرب النظام.

و. الوزير – لا. النظام عندنا كالساعة العدد هو هو دائما ... لا ينقص ولا يزيد.

هند – هناك عدد زائد ... ماذا تفعلون به؟

و. الوزير – ماذا تفعلين بملابسك القديمة؟

هند – أعطيها للبنت سنية خادمتي ...

و. الوزير – هذا هو بالضبط ما يفعله مولاي أعزه الله ...

هند – (بدهشة) يعطيها للبنت سنية ...

و. الوزير – ليس بالضبط ... مولاي الوزير ...

هند – أعزه الله ...

و. الوزير – (يكمل) لديه مئات السنيات ... الحكيم سـنية ... السياف سنية ... رئيس الخدم سنية ... أنا سنية.

هند – لابد أن مولانا الوزير غني جدا.

و. الوزير – في الأسبوع أراد مولانا الوزير أعـزه الله أن يشتري قصرا أعجبه على الشـاطئ وبعـد البحـث والتحري اتضح أن القصر ملك له.

هند – ياه ... إنه ثري جدا.

و. الوزير – ومع ذلك فالجواري لسن على حسابه ...

هند – على حساب من؟

و. الوزير – من المخصصات الوزارية ... نصفهم من بنـد الأدوات الكتابية والنصف الآخر من بنـد المكافـآت التشجيعية (الحركة تزداد الضجة تعلـو فيتحـرك وزير الوزير إليهم).

و. الوزير – نظام ... نظام ... كل شخص في الصـف ... لا محسوبيات لا وسايط كل واحدة ستأخذ فرصـتها (الوزير يدخل).

الوزير – نظام كما قلت ألف مرة ... زوري جرح.

النخاس – (خطيبا) أعز الله مولانا الوزير ... درة الولاية كنز الحق وسيف الدولة ...

الوزير – (مقاطعا) كفى. كفى. أليست هناك وسيلة أفضل لتعذيبي من هذه الخطب العصماء لقد سمعت منهـا سبعا اليوم وواحدة أخرى تهلكني ... أجل خطبتـك ليوم أكون فيه قادرا على الاحتمال. أتيت بالمطلوب؟

النخاس – إشارة مولاي أمر.

الوزير – لا تبعني كلمات. فلا أنقدك عليها شيئا أريد بضاعة فريـدة لا قبلهـا ولا بعـدها ... ضـقت بالنسـاء المتحذلقات ثقيلات الظل.

النخاس – بضاعتي يا مولاي كنز محرم على غيرك ...

الوزير – فرجنا ... (النخاس يتقدم بالجارية الأولى).

النخاس – نرجس ... تبارك الباري فيما خلق ... عشـرون سنة ... لا تزيد قد تنقص شـهورا ... تغنـي ولا سلاّمة تتكلم ولا الجاحظ تحب ولا ليلى ...

الوزير – من أين جئت بها؟

النخاس – من عند شهبندر التجار ... رباها علـى العـز،و كان يؤثرها على سائر جواريه.

الوزير – ولماذا باعها شهبندر التجار؟ افتقر؟ فـي الشـهر الماضي أدخل خزائنه كذا مليون دينار مـن أزمـة الدقيق.

النخاس – أقصد شهبندر التجار السابق ...

و. الوزير – مات مسموما ...

الوزير – (بقلق) وأين كانت قبل ذلك؟

النخاس – كانت عند السنجق سليمان الذي اشتهر بجواريـه الحسان ...

و. الوزير – أيضا مات مسموما ...

الوزير – لا ... لا ... لا أريدها أبعدوها عني (و. الوزير يميل عليه ويتهامسان).

الوزير – هاتوها قررنا شراءها وإهداءها للقاضي. (النخاس يتقدم بالجارية الثانية)

النخاس – قمر شاه ... وهي قمر حقا كما يلاحظ مولانا ... في شوال القادم تكمل الثامنة عشر عاما.

الوزير – من أي بلد؟

النخاس – من سمرقند يا مولاي.

الوزير – لا ... لا ... لا أريدها.

النخاس – ولماذا يا مولاي؟ إنها جميلة كما ترى ... وأفضل من عزفت على العود في الشرق والغرب.

الوزير – يا ابني أنا لا أبحث عن المتاعب بيننا وبين سمرقند مشاكل سياسية ... وأنت تعـرفهم يتسـقطون لنـا الأخطاء. سيدعون أن هذه الأفاقة أميرة سـمرقندية وأننا خطفناها ويعلنون علينا الحرب. وفي هذه الأيام

ليس لدينا جيش نصفه يستعد للاحتفال بعيد الـ والي
والنصف الآخر في بعثات لدراسة فنون الحرب ...
هاتها بعد العيد وعودة البعثات سأشتريها منك فورا.
(و. الوزير يحاول الميل على الوزير).

الوزير – عارف. ستقول لي نهديها لوزير الديلم ... ولكـن
من يضمن لي ألا ينقل الجواسيس إلى سمرقند أننـا
نحن الذين أهديناها له ... ابعد عن الشر وغني له.
(النخاس يتقدم بالجارية الثالثة وهي أجملهن).

النخاس – دعد ...

الوزير – لا تقل كلمة أخرى يا رجل، فتفسد جمالها برخيص
الكلمات (لوزيره) هذه اشتريها ولو تسـببت فـي
مشاكل مع العالم كله.

النخاس – إذا كان لي موهبة فهي معرفة مزاج مولاي.

الوزير – كدت أفقد فيك الثقة لولا هذه البنت ...

النخاس – أنا كالغواص الماهر أبحث عن روائع اللؤلؤ فـي
أعماق البحار ... وأعاني من ذلك الكثير.

الوزير – وما هو ثمن اللؤلؤة أيها الغواص.

النخاس – خمسة آلاف دينار ...

الوزير – يخرب بيتك جارية بخمسة آلاف دينا ... لو كانت زوجتك بكم تبيعها.

النخاس – زوجتي أبيعها بدرهمين ... على الأكثر ...

الوزير – (لوزيره) يا وزيري العزيز هل نستطيع أن ندفع في الأدوات الكتابية خمسة آلاف دينـار؟ (وزيـر الوزير يميل إليه ويتهامسان).

الوزير – خلاص. سنستغل أزمة المساكن ونـؤجر المبنـى الخلفي من ديوان الوزارة ...

(النخاس يتقدم بالجارية الرابعة).

النخاس – شهر زاد ...

الوزير – غير شهر زاد ألف ليلة؟

النخاس – أفضل يا مولاي ... لأنها تحكي ألف حكايـة ... فضلا عن قدرتها على التأليف الفوري.

الوزير – ولماذا تبيعها يا ابني؟ احتفظ بها وسـتدر عليـك ذهبا. تكتب القصص والحكايات والمسلسلات وأنـت تبيعها.

النخاس – لكنها لا تعرف القراءة والكتابة.

الوزير – وهل كل من يكتبون هذه الأشياء يعرفون القـراءة والكتابة؟

النخاس – لست متخصصا بهذا النوع من التجارة.

الوزير – نأخذها (لوزيره) عليك بها ... هي تحكي وأنت تكتب وتبيع.

الوزير – أمرك يا مولاي (الوزير يلمح هند)

الوزير – أنت تخفى الدرر الغالية للنهاية ... سأشتري منـك هذه الجارية.

النخاس – وما له يا مولاي ...

هند – وما له؟ ماذا تقول يا رجل ...

النخاس – هل كنت تحلمين بذلك؟ ستكونين جارية في قصر مولاي الوزير.

هند – ابعد عني أنا حرة.

و. الوزير – لا داعي لكلمة حرة هذه يـا امـرأة ... إنهـا تضايق مولانا ...

الوزير – دعها يا وزيري ... إنها تخرج من فمها كالسـكر ...

و. الوزير – مع أن مولانا أمر بإعـدام تسـعة رجـال لأن أحدهم قالها ...

الوزير – الحرية نعمة يا وزير لا يستحقها كل الناس. الماس غالي. وهو أيضا جميل ... لكن لو تزين به النـاس كلهم لما أصبح لا غاليا ولا جمـيلا. تحـول إلـى زجاج. كذلك الحرية هي ماسنا الغـالي. لا نسـمح للسوقة بامتلاكه.

النخاس – يا نبع الحكمة.

(الوزير يتقرب من هند في تودد).

الوزير – إذن فأنت حرة أيتها السيدة؟

هند – نعم يا مولاي ...

الوزير – وما جاء بك إلى هنا؟

هند – جئت أقدم شكوى.

الوزير – شكوى؟ وهل هذا وقت الشكاوى (لوزيره) ألـف مرة قلت لكم نظموا الشغل. حددوا مواعيد الشكاوى

و. الوزير – الآن وقت الشكاوى.

الوزير – يا سلام. الآن ... (مشيرا إلى الجواري) تسميهن شكاوى.

و. الوزير – لقد كانت هذه الساعة مخصصة للشكاوى فـي أيام جدك.

النخاس – الله يرحمه.

و. الوزير – والدليل على ذلك يافطة في الخارج. لكن منـذ زمن طويل لم يأت أحد للشكوى واليافطـة أصـابها الصدأ.

الوزير – ولماذا لا يأتي الناس للشكوى يا وزيري؟

و. الوزير – أمر لا يخفى على ألمعية مولانا الوزير ... لأن العدل استتب في الولاية كلها بفضل حزمه.

الوزير – تظن هذا؟ لم إذن تأتي هذه الست؟

و. الوزير – ومن أدرانا أنها ليست شكوى كيدية.

هند – ليست كيدية والله ... (الوزير يتأمل هند).

الوزير – أمعقول أن تقدم هذه الست شكوى كيدية؟

هند – إلهي ينصفك يا مولاي.

الوزير – (يصفق) انصراف للجميع حتى نسمع للشـكوى التي ليست كيدية.

(يبدأون في الانصراف).

النخاس – معذرة يا مولاي ... ولكن ثمن الجواري ...

الوزير – اذهب للشئون المالية ... المسـألة تحتـاج إلـى ترتيب.

النخاس – (مغمغما) إذن لن نحصل على درهم واحد ...

(الجميع ينصرفون ما عدا الوزير ووزيره وهند).

الوزير – ما الحكاية يا ست؟

هند – الحكاية تبدأ عندما كنت أتنزه على شاطئ البحر ...

و. الوزير – اختصري يا امرأة ...

الوزير – ولماذا تختصر؟ أتريد أن تحرمنا من هذا الصوت الجميل؟ تكلمي يا ست وأطيلي ... أطيلي بقدر مـا تستطيعين.

هند – كنت ماشية في حالي شافني مدير السجن ...

الوزير – ابن الهرمة نظره ستة على ستة.

هند – من يومها وهو يتابعني ... وعندما تجهمت في وجهه ... أمسك بأخي حسن وحبسه ...

الوزير – أترى يا وزيري؟ وتقول شكوى كيدية؟

و. الوزير – مولانا الوزير نشر العدل. لكن مدير السجن هو الوحيد الذي شذ عن القاعدة.

هند – ليس الوحيد ... المحتسب ...

الوزير – شذ أيضا؟

هند – راودني عن نفسي ...

الوزير – ومن أيضا؟

هند – لا أحد ... جئت لمولاي فورا ...

الوزير – جئت المكان الصحيح يا امرأة. ماذا حدث للنـاس؟ انقلبوا إلى وحوش؟ ماذا أفعل؟ أختار أفضل الرجال وأحسنهم خلقا فلا تمضي شهور حتى أشم رائحـتهم النتنة ... هل أتولى كل الأعمال بنفسي؟ ألا يوجـد في هذا البلد مواطن صالح غيري (لهند) لا تقلقـي أخوك سيخرج من السجن وسنعاقب الرجلين عقابـا رادعا. (لوزيره) هل لدى وقت خال هذا الأسبوع؟ (و. الوزير يفتح دفترا).

و. الوزير – مولاي مشغول خلال أربعة أشهر القادمة ...

الوزير – دبر لي وقت ...

و. الوزير – موعد الكاتب بعد شهر ونصف. يقولـون إنـه مريض إذا مات قبل ذلك يكون مولاي خاليا ثـلاث ساعات ...

الوزير – يا ملعون دبر لي ولو ساعتين خلال هذا الأسبوع.

و. الوزير – يوم الخميس بعد المغرب فيه اجتمـاع لجنـة التنمية ...

الوزير – ألغيه ... أفضل لنا أن ننمي علاقاتنا مع الجماهير ...

و. الوزير – أمر مولاي ...

الوزير – (لهند) اطمئني يا شابة سأكون عندك يوم الخميس بعد المغرب.

هند – الله يخرب بيتك يا حسن ...

(ستار)

الفصل الثالث

(وفي اليوم الرابع والعشـرين من شهر شـوال ... أقـاموا احتفالا كبيرا في قصر الـوالي وتسـابق المتسـابقون لـدفع بعضهم البعض إلى الخازوق)

المشهد الأول

(غرفة في بيت هند، لها باب واحد ضخم.
أربعة صناديق كبيرة موضوعة في الواجهة النجار يرتب الصناديق ... هند تستلمها منه)

النجار – واحد ... اثنان ... ثلاثة ... أربعة ... أربعة صناديق ... صح؟

هند – صح ...

النجار – المقاس مضبوط؟

هند – أظن ذلك ...

النجار – أموت وأعرف ماذا ستفعلين بهذه الصناديق ...

هند – ألم نتفق ... لا أسئلة ...

النجار – صح. الزبون دائما على حق ... أبي رحمه الله كان يردد هذا دائما.

هند – مضبوط.

النجار – بشرط أن يدفع. أبي رحمه الله كان يفتح رأس الزبون الذي لا يدفع بالشاكوش.

هند – سأدفع لم أعترض.

النجار – (يقترب منها في رغبة) حالا ...

هند – (تبتعد) تحشم يا رجل.

النجار – لا ... الدكان لا يبيع نسيئة ... أبي رحمه الله كان يتقاضى أجره مقدما.

هند – أنا لم أقل شيئا. لكن ألم تلاحـظ أن الخادمـة هنـا؟ سأبعدها إلى مكـان مـا (النجـار يجلـس علـى الأرض).

النجار – أبعديها وأنا قاعد هنا ...

هند – كيف؟ أقول لها ابتعدي لأن في غرفتـي رجـلا ... تأدب يا نجار.

النجار – (يقف) الصبر ... ماذا تريدين يا ست ... الشغل وقدمناه على أكمل وجه. الثمن ونريده فورا ... ماذا تريدين؟

هند – الصبر.

النجار – الصبر سأخرج وأعود بعد ساعة لكنني أقسم برأس أبي رحمه الله إذا كانت هناك ملاعيب فلن أسـتخدم أقل من الشاكوش.

هند – عيب يا معلم. وهل نحن مـن أصـحاب الملاعيـب
(النجار يخرج – هند تتفقـد الصـناديق – سـنية تدخل).
سنية – ستي ... ستي ... رجل يا ستي.
هند – من منهم؟
سنية – وما أدراني. هل أنا من البنات اللائي يعرفن الرجال. أنا بنت مؤدبة ... مهذبة ثم إنه ملثم كيف أعرفه؟
هند – هاته ... ولا تنسي ما اتفقنا عليه ...
سنية – أمرك يا ستي ...
(سنية تخرج. هند ترتب زينتهـا. الـوزير يـدخل مقنعا) (يرفع اللثام).
الوزير – في الموعد بالضبط ... أليس كذلك؟
هند – (بدلال) كل وقت يأتي فيـه مـولاي هـو موعـد مضبوط.
الوزير – دقيق جدا في مواعيدي. عندما أعمل بنظام الدولة كلها تسير بنظام. لا وقت لدينا للثرثرة. ليس أمـامي سوى ساعتين. نصفها يضيع في المواصلات.
هند – (باسمة) يبدو أن مولاي مستعجل جدا ...

الوزير – هكذا أنا. أحب أن آخذ كل شيء بسرعة ... هـذه هي الطريقة الوحيدة لكي يأخذ الإنسان كل شـيء. بعض الحمقى يدرسون ثلاثين عاما أو أربعين عاما كي يصبحوا من الحكماء. أنا اشتريت واحدا مـنهم يشير على في كل شيء وهكذا صرت حكيما. بعض الكسالى يعملون ثلاثين عاما كي يصيروا وزراء أو دون ذلك. أما أنا فقد كسبت الوالي في يوم وصرت وزيره في اليوم الثاني. بسرعة ... بسرعة ... ينال الإنسان كل شيء ... الحياة قصيرة يا هانم.

هند – الصبر جميل أحيانا ...

الوزير – غلط. في حالة مثل حالتنا هذه أين مكان الصـبر؟ ألسنا متفقين على كل شيء ...

هند – متفقان طبعا. لكن زوجي ...

الوزير – وما دخل زوجك بهذا ... (منتبها) زوجك؟ ألـم تقولي إنك أرملة؟

هند – قلت ...

الوزير – ماذا حدث لنساء الولاية؟ هـل مـن الممكـن أن تتزوجي بهذه السرعة.

هند – لم أتزوج.

الوزير – الله ... فزورة محيرة. لم تتزوجي ولك زوج. ليس أمامي سوى ساعتين يا امرأة.

هند – قلت إنني أرملة وكان ذلـك صـحيحا ... والآن أنـا زوجة وذلك صحيح أيضا.

الوزير – هل قلت لك إن المواصلات تأخـذ منـي سـاعة تقريبا؟

هند – نعم يا مولاي.

الوزير – إذن لماذا تضيعين وقتي؟ أنا جئـت أبحـث عـن المتعة لا عن الألغاز.

هند – ببساطة كان لي زوج يحارب مع جـيش الـوالي ... كان محاربا شجاعا. قتل من الأعداء فـي معركـة واحدة سبعين فارسا.

الوزير – أعرف ... فمثل هذه القصص نؤلفها فـي ديـوان الوزارة ...

هند – سافر مع جيش الوالي منذ خمس سنوات ... ودعتـه حتى سور المدينة ... انتهت الحرب. رجع زملاؤه. بعضهم قالوا إنه مات ... في البداية لم أصدق. ليس

بين فرسان الأعداء من يقدر على قتله ... ثـم لمـا طالت غيبته بدأت أصدق ... تقبلت الواقـع حتـى صباح اليوم رأيته أمامي ...

الوزير – (ساخطا) ألم يكن قد مات وانتهى ...

هند – كان جريحا ... زملاؤه ظنوا أنه قتل ... شفي مـن جراحه وعاش هناك خمس سنوات ... ثم اشتاق إلى أرضه ... وبيته ... وزوجه ... فعاد.

الوزير – ديوان الوزارة بما فيه من كتاب وشعراء وحكمـاء عاجز عن تأليف قصة مثل هذه القصـة الخرافيـة. ومع ذلك فلو كان هذا حقيقيا. فإنه لا يهمني لقد اتفقنا على شيء ويجب أن يحدث ...

هند – أنا إذا وعدت وفيت ... لكنني أحببت أن أنبهك إلى أن زوجي خير من حارب بالسيف في البلاد.
نصف سكان قبور هذه الناحية من ضحاياه.

الوزير – (بقلق) وأين هو الآن؟

هند – راح يزور أمه

الوزير – ومتى يأتي؟

هند – من يعلم (الوزير يسير مفكرا ثم ينفجر)

الوزير – حتى لو كان عنترة بن شـداد ... أنـا قاعـد ...
(يعطيها ورقة) وهذا صك الإفراج.
هند – لست أعرف كيف أشكر مولاي؟
الوزير – تعرفين ... تعرفين جيدا ... (يضع يـده علـى كتفها)
هند – مولاي متعجل ...
الوزير – (ساخطا) بعد كل هذا ... متعجل ... الوقت يمر ... وعنترة على وشك الحضور وتقولين: متعجـل (يضع يده على كتفها)
هند – أخشى أن يفهم مولاي من كل ذلك شيئا غير عواطفي الحقيقية
الوزير – (مبتهجا) عواطفك؟ إذن فأنت تحبينـي وأنـا لا أعرف. ما أقساني متى بدأ ذلك؟ احكي لي
هند – (بصوت عال وفي اتجاه الباب) حبي لك لم تعرفـه الدنيا من قبل
(قرع عنيف على الباب ... الوزير يقفز واقفـا ... وكذلك هند ولكن في غير صدق)
خلاص قولي له إنني أتيت لأتفقد شئون الرعية ...

هند – زوجي ... زوجي ...

الوزير – (مهدئا من ذعره) أليس من الممكـن أن يكـون شخصا آخر؟

هند – لا يقرع الباب بهذه الطريقة أحد غيره

الوزير – سيهد البيت ...

هند – لأنه من عادته أن ينقر على الباب بأصابعه.

الوزير – ما العمل؟

هند – أنا حائرة ...

الوزير – (غاضبا) حائرة هل هذا وقت الحيـرة ... ألـن يحضر هذا البغل الآن؟

النخاس – وماذا بيدي يا مولاي ...

الوزير – خلاص قولي له أنني آتيت لاتفقد شئون الرعية

هند – حل عظيم ... لكنه عندما يـراك لـن يسـمعني ... بالتأكيد سيقتلك قبل أن يسمع كلمة واحدة

الوزير – يقتلني؟ بهذه السهولة؟ أليس فـي البلـد شـرطة وقضاء؟

هند – حاول أن تفهمه يا مولاي. لقد عاش خمس سنين بعيدا عني ... وبالتأكيد عذبه الشك طويلا

الوزير – (نافد الصبر) فكري في حل ... لا تضيعي البلد في حماقة ...

هند – (تتلفت حولها حتى تجد الصندوق) لا حل غير هـذا الصندوق

الوزير – لا ... لا ... مستحيل ... وزير الولاية ... ابـن وزير الولاية ... حفيد وزير الولايـة يختبـئ فـي صندوق؟

هند – أنا خائفة على مولاي. خائفة على الولاية بعدك.

الوزير – لكن كرامتي.

هند – إذن فمولاي يريد التضحية بحياته؟

الوزير – أنا لا أحب التضحية بأي شيء: لا بكرامتـي ولا بحياتي

هند – لابد من الاختيار يا مولاي. هذه هي الحيـاة. دائمـا هناك لحظة اختيار. قد تؤجل كالموت ولكنهـا لابـد آتية. وعلى الإنسان في النهاية أن يختار، وفي لحظة الاختيار يتكشف معدنه الحقيقـي. ويسـقط طـلاء الزيف. أمامك الآن الاختيار يـا مـولاي. المـوت

بكرامة ... أو النجاة بلا كرامة ... ولا حـل ثالـث

(الطرق يعود عنيفا)

هند – هل يطول اختبائي؟

اطمئن سأبعده بعد قليل ... وأخرجك. واتفاقنا كمـا هو ...

الوزير – ملعون هذا الاتفاق. المهـم أن أخـرج مـن هنـا

(الوزير يدخل الصندوق. هند تغلقـه عليـه بقفـل ضخم)

الوزير – (من الداخل) كما لو كان قد فصل على

هند – مولاي ينطق الحكمة دائما ... هل أنت مستريح الآن؟

الوزير – جدا ...

هند – يا تعاستي برجال لا يستريحون إلا وهـم مختبئـون

(الخادمة تدخل)

سنية – كل شيء ...

هند – (تكمل وتشير إلى الصندوق) على ما يرام.

سنية – هناك رجل آخر ...

هند – (وهي تعدل زينتها) ليتفضل ...

(ستار)

المشهد الثاني

(نفس ديكور المشهد السـابق. الصـناديق الأربعة وحدها. صمت يعقبه حوار المحبوسين فـي الصناديق ... ترتيبهم من أعلى: النجار – المدير – المحتسب – الوزير) ...

المدير – إنني أختنق.

النجار – بسم الله الرحمن الرحيم ... إنس والا جن؟

المدير – إنس يا نجار النحس ...

النجار – إنس طبعا ما دمت طويل اللسان هكذا ... لا شـك أن الجن أكثر أدبا. ولكن ليس لمثلي يقال هذا الكلام. كلمة أخرى وأقطع لسانك.

المدير – (يضحك ساخرا) اخرج أولا. ثم افعل ما تستطيع يا صعلوك

النجار – أين أنت؟

المدير – في الصندوق الذي تحتك

النجار – ومن الذي أدخلك فيه؟

المدير – الذي أدخلك يا منحوس (صمت)

النجار – من أنت

المدير – لا شأن لك

النجار – تتكلم بطريقة أعرفها جيدا في العسكر.

المدير – هدوءا يا بغل ...

النجار – لكننا سنختنق هنا ...

المدير – وماذا بأيدينا؟ أهل البيت لعنهم الله تركوه ورحلوا ... والبيت بعيد عن البلاد ولن يكتشف وجودنا قبل سنة إحصاء ...

النجار – نكون قد متنا وأكلنا الدود

المدير – ألا تعرف ألفاظا أفضل من هذه ...

النجار – الدود لا يهاب ميتا ...

المدير – محبوس، وفوقي سافل. أنا يحدث لي هذا ... ولماذا؟ من أجل امرأة

النجار – (ضاحكا) أنا أيضا حدث لي هذا ... ودون قبلة واحدة

المدير – ضحكت علينا القحبة

النجار – بنت ولا كل البنات ... بصراحة أعجبتني.

المدير – تدافع عنها؟ إذن اخرس نهائيا ...

النجار – ولماذا؟ الرجولة يا سيدي هي أن تقول الحق ولـو على نفسك. لقد اشتهيتها بل ومازلت ومع ذلك فأنـا غلطان. امرأة شريفة ووحيدة ... عيب ما فعلناه ... والله ولا الحيوانات ...

المدير – كف عن قلة الأدب يا نجار

النجار – تتكلم بلهجة الشرطي. وحتى لو كنـت كـذلك: لا يجب أن تكلمني هكذا. يا عم نحن في الهم سواء.

المدير – ضاعت المقامات في هذا البلد. اسمع يا ولد. لقـد صبرت على طول لسانك ورفع الكلفـة ... ولكـن يجب أن تدرك أنت مجرد نجار ... وأنـا ... أنـا رجل محترم .

النجار – تعني أنني لست محترما.

المدير – أنا من الحكام يا ولد.

النجار – كذاب ونهايتك جهنم ... متى كان الحكام يحبسـون في الأدوار السفلى؟

المدير – آه لو عرفت لمت خوفا.

النجار – (ساخرا) كأنك سيدنا المحتسب ...

المدير – وكيف عرفت؟ إنني فعلا المحتسب ...

المحتسب – اخرس

المدير – ماذا تقول يا ولد

النجار – أنا لم أنطق.

المدير – اتغير صوتك يا نجار النحس؟

النجار – أنا أم أنت ... يا سعادة المحتسب.

المحتسب – اخرس أنت أيضا ...

النجار – (فزعا) بسم الله الرحمن الرحيم

المدير – هناك شخص ثالث هنا ...

النجار – (صائحا) عفريت ... عفريت ...

المدير – لا ... إنه المحتسب

النجار – في الغرفة محتسبان.

المدير – لا رحنا في داهية

النجار – إذن أنت لست المحتسب.

المدير – لقد أتى ليقبض علينا ... الملعونة بلغت بأمرنا يـا نجار

النجار – ألست أنت المحتسب؟

المدير – ضعنا يا نجار

النجار – إذن قد كذبت علي. لماذا؟

المدير – كف عن هذا اللغو. السجن في انتظارنا يا نجس.

النجار – السجن أهون من أن نختنق هنا

المدير – صح. أهم شيء أن نخرج من هنا. ثم نتصرف بعد ذلك. أنا أعرف جيدا كيف أتفاهم مع سعادة المحتسب ...

النجار – أفهم: لماذا كذبت علي؟

المدير – (مناديا) سعادة المحتسب ...

المحتسب – نعم يا سعادة مدير السجن

النجار – مدير السجن. لكن لماذا كذبت؟

المدير – ألن تخرجنا من هنا يا سيدي؟

المحتسب – أتعرف من سيخرجك من هنا؟

المدير – (بريبة) من؟

المحتسب – (ضاحكا في ابتذال) نعيمة العوادة ...

المدير – (ضاحكا في مجاملة) حلوة ... نكتة ظريفة.

النجار – ومن هي نعيمة العوادة؟

المدير – اخرس يا كلب. يا سعادة المحتسب. أنا ... مستعد للمحاكمة (بلهجة خاصة) ومستعد للحبس في جناح رقم 4 ... تعرفه طبعا؟

النجار – حبس ... كذاب وغبي. يـا أخـي لاطفـه كلمـه بالحسنى لكي يخرجنا من هنا. أنتمـا مـن الأكـابر والأكابر يراعون بعضهم خوفا من شماتة أمثالنا.

المحتسب – يا سعادة المدير. أعانك الله علـى محنتـك ... ستظل محبوسا هنا حتى ينفذ الله أمرا كان مقضيا.

المدير – (متباكيا) مظلوم والله مظلوم. الله يكرمك ويحفظ لك أولادك. أنا أعول عشرة أطفال أبرياء مظلوم يـا مولاي مظلوم.

المحتسب – ليس بيدي والله ...

النجار – انتظر ... انتظر ... (صمت) المحتسب يتكلم من تحت ... (ضاحكا) سيدنا المحتسب متصندق

المدير – احذر يا ولد مما تقول

النجار – أنا أسمعه جيدا.

المدير – أين أنت يا سعادة المحتسب؟

المحتسب – في الطابق الثاني يا مغفل

المدير – (ضاحكا في عصبية) أنت أيضا يا محتسب.

المحتسب – تضحك؟ (يقاده) أعطيني قبلة يا قطة، هل هذا غزل يا خنزير ... تعالى أجلسي علـى ... سـوقي ومبتذل.

(صمت)

المدير – أصحيح أننا انتهينا؟

المحتسب – الصبر.

المدير – لن يقتلنا شيء سوى الصبر.

المحتسب – لا شك أن الوالي سـيدرك غيبتنـا ... ويـأمر بالبحث عنا في كل مكان ...

النجار – فرصة للبلاد تشم رائحة العدل.

المحتسب – وقح ...

المدير – سافل.

النجار – لو كنت أعـرف كنـت عملـت سـتين صـندوقا

(صمت)

المحتسب – يا ساتر. صداع، فات موعد قهوتي.

المدير – وأنا عطشان

النجار – وأنا أسوأ من هذا ... وذاك ...

المدير – ولماذا يا ولد؟

النجار – أريد أن أفك نفسي ...

المحتسب – ماذا يقصد هذا المتشرد؟

المدير – إنه يريد أن ...

المحتسب – (مقاطعا في فزع) فهمت ... إياك يا نجار ...

المدير – إلا هذه ... تكون هيبتي قد ضاعت نهائيا ...

المحتسب – إنها نجاسة يا ولدي ...

النجار – لكنني مضطر ...

المحتسب – اصبر ... غدا يأتي الفرج.

النجار – غدا؟ غدا أكون قد فككت نفسي عشر مرات علـى الأقل ...

المحتسب – هذا ليس عدلا ... كان يجب عليهم أن يضـعوا النجار في الدور الأول ...

المدير – هذا هو عيبنا يا أولاد العرب. لا نعرف النظام (صمت)

النجار – لابد أنه كبير الكبراء ...

المدير – من يا ولد؟

النجار – المحبوس في الصندوق الأول.

المدير – أي صندوق؟

النجار – هناك أربعة صناديق ... أنا صـندوق ... المـدير صندوق ... المحتسب صندوق ... من في الصندوق الرابع؟

المدير – معقول ... من؟

المحتسب – ربما كان فارغا.

النجار – لا أظن ... البلد فيها أزمة سكن.

المدير – نشوف ... (ينادي) أخانا يا من تسكن تحت، رد علينا. كلمنا ... تسلي معنا بالحديث ... إلـى متـى تخفي نفسك ... ولماذا؟

(صمت)

المحتسب – ألم أقل لكم انه فارغ

المدير – هناك أحد ... حاسة الشم لدى قوية.

النجار – وبالطبع يعرفنا كلنا. لأنه أول من سكن

المدير – ولا يتكلم لأن مركزه كبير جدا ...

النجار – ربما كان الحاجب ...

المدير – حسب معلوماتي ... وهي معلومات دقيقة جدا كما يعرف الجميع: الحاجب لا يعشق شيئا سوى المـال. ولأنه يتعاطى الرشوة كل نصف دقيقة فهو لا يجـد

وقتا للنساء. ومعلوماتي تؤكـد أن زوجتـه وهـي بالمناسبة صغيرة وجميلة مـا إن تـرى رجـلا ... أستغفر الله لا داعي للنميمة في موقفنا هذا.

المحتسب – لكن لا تنس أن تحكي لي كل شيء بعد خروجنا من هنا بإذن الله ...

النجار – أنت متأكد يا سعادة المدير أن الحاجب يأخذ رشوة كل نصف دقيقة

المدير – انه إحصاء يا جاهل

النجار – إذن متى يفك عن نفسه؟

المحتسب – الله يخرب بيتك. كف عن هذه القصة

النجار – طيب. أعاني وحدي والأمر لله. خطرت لي فكرة: ألا يمكن أن يكون صاحبنا هو الوزير.

المدير – لديه 365 جارية ... وبالتأكيد كره النساء ...

النجار – إذن فهو الوالي نفسه ...

المدير – يا ليت ... عشرون عاما وأنا أتجسس عليـه. لـو كنت ضبطته يكلم امرأة لكان لقبي الآن: الوزير

النجار – ربما كان القائد ...

المدير – للأسف نتائج معاركه في غرف النوم هـي نفسـها نتائج معاركه في ميادين القتال ...

المحتسب – إذن لا أحد هناك ... (صمت)

النجار – يا جماعة لقد تعبت ... أنـا لا أرى ضـررا فـي أفعلها

المحتسب – كن ولدا لطيفا وتحملها ...

النجار – أنا أعاني ...

المدير – كلنا نعاني ... ولكننا نتحمل ... أنا أيضا أريـد أن أفك عن نفسي. ولكن من أجل خاطر سيدنا المحتسب لا أفعل ...

النجار – لكنني أموت ... يرضيكم موتي.

المحتسب – كلنا سنموت يا ولدي ولكـن علينـا أن نمـوت بكرامة ...

النجار – سأفعلها

المدير – ربنا يفك ضيقتك ... أجل ذلك ...

النجار – (بتصميم) سأفعلها وليحدث ما يحدث ...

الوزير – إياك يا ابن الكلاب

النجار – (فزعا) من؟

المدير – الوزير

المحتسب – الوزير ...

النجار – نهار أسود ... الحكومة كلها محبوسة تحتي

(ستار)

المشهد الثالث

(غرفة هند ... الصناديق كما تركناها في الفصـل السابق – تسود لحظات صمت قبل أن يدخل جنديان – ثم المنادي)

المنادي – مولانا الوالي ...

(يدخل الوالي ... يتبعه حارسه وهند وحسن وبعض الحرس)

الوالي – هل تدركون خطورة ما تدعون ...

حسن – كل ما قلناه حقيقة يا مولاي

الوالي – أنت تغامر بعنقك أيها الشاب

حسن – لأنني متأكد من صحة ما أقول

الوالي – (لهند) سأكون آسفا لو كنت كاذبة. لا تسـتحقين العقاب الذي سأفرضه عليك

هند – كذبة كبيرة مثل هذه تحتاج إلى كبار ... ونحن لسـنا إلا من صغار الناس ...

الوالي – أرجو أن يكون ما تدعون صحيحا حتـى لا يقـع عقابي عليكم ... وأرجو ألا يكون صحيحا حتـى لا

أفقد دهشتي ... أمام أي شيء بعد ذلك ... (للجنود افتحوا الصناديق)

الوالي – ليس هكذا ... بنظام ... افتحوا الصندوق الأعلـى أولا ...

(الجنود يفتحون الصندوق الأعلى ... يخرج النجار منكمشا مذعورا ... يندفع إلـى الاتجـاه المعـاكس للوالي ... الجنود يمسكون به ويعيدونه)

هند – إنه النجار يا مولاي ... هو الذي صنع الصناديق

النجار – أنا بريء يا مولاي ... مظلوم يا مولاي (ينـدفع في الاتجاه المعاكس فيعيده الجنود)

الوالي – إلى أين تريد الذهاب يا نجار؟

النجار – أعز الله مقام مولاي ... سأموت إن لم أذهب إلـى الحمام فورا.

الوالي – ألا تستطيع الصبر قليلا؟

النجار – الصبر ... إذن أنت لا تصدقني يا مولاي ... فـي هذا الشيء لا أستطيع الصبر

الوالي – (للجنود) اذهبوا به إلى حيث يريد، ثم أعيدوه

(الجنود يخرجون بالنجار)

(الجنود يفتحون الصندوق – يخرج مـدير السـجن ينفض الماء عن ملابسه في قرف – ثم ينحني أمـام الوالي باحترام) ...

الوالي – ما شاء الله ... ما شاء الله

المدير – أعز الله مولانا الوالي ... وأيـد حكمـه العـادل، ومنحه الصحة والعافية.

الوالي – مدير السجن محبوس في صندوق؟ لست أردي هل أغضب أم أضحك؟ (عنيفا) لماذا أنت هنا؟

الوالي – سأجيب على سؤال مولاي بإذن الله – سأكشف مـا يبدو غامضا. ولكن ذلك يسـتغرق بعـض الوقـت وهناك أمر أكثر خطورة، ولا يتحمل التأخير لحظـة واحدة ... ولو كان خاصا بي ما اكترثت ... ولكنه خاص بمولانا وصاحب نعمتنا ... فهل تسمحون لي؟

الوالي – ماذا تريد؟

المدير – بعد إذن مولاي سألقي القبض على هذين (يشـير إلى هند وحسن)

هند – هل هذا جزاؤنا؟ جئنا نفرج عنك فتطلب حبسـنا ...
(حسن) ألم أقل لك نكمل هربنا. فأخذت تقول لي:
رسالة وأريد أن أبلغها؟

الوالي – صمتا (للمدير) ولماذا تريـد أن تقـبض علـى
هؤلاء؟

المدير – حياة مولانا في خطر، طالما أن هؤلاء أحرار.

الوالي – هكذا. لكنهم جاءوا إلى قصري. وبقوا عندي فتـرة
... وصحبوني إلى هنا ولم يبد منهم شيء

المدير – إنهم ملاعين وخبثاء ... وأنا متأكد أنهم يتـآمرون
على حياة مولاي ... فهل تسمحون لـي بـأن أؤدي
واجبي.

الوالي – بل تقف مكانك لا تتحرك ... وإذا تحركـت طـار
عنقك ... أتفهم هذا؟

المدير – (مهزوما) أفهمه

الوالي – (للجنود) افتحوا الصندوق التالي ...

(الجنود يفتحون الصندوق ... ويخرجون المحتسب
وهو يبعد ثيابه عن جسده)

الوالي – (ساخرا) حارس العدل في البلاد

المحتسب – وهكذا يثبت لنا كل يوم يا مولاي أننا بـدونك لا نساوي فلسا. من لنا سواك يا راعي الحق والعـدل. مهما كنا ومهما فعلنا فنحن نحس بالضآلة إلى جوار أياديك البيضاء ... لولاك يا مولاي لقضـى علينـا هؤلاء السفلة ... ولكنك أتيت فارسـا شـهما لتنقـذ رجالك المخلصين ... فهنيئا لنا بك بطـلا عظيمـا وهنيئا للولاية بك حاكما عادلا.

الوالي – (لمن خلفه) أرأيتم مثل رجالي في النفاق؟

المحتسب – النفاق ... أستغفر الله العظيم. والله ما كرهـت في حياتي يا مولاي أكثر من النفاق والمنافقين.

الوالي – أترى هذا المدير؟

المحتسب – (كما لو كان يراه لأول مرة) صـديقنا مـدير السجن هنا؟ (يصافحه) أهلا بك ومرحبا ...

الوالي – قف إلى جواره ولا تتحرك.

المحتسب – أمر مولاي مطاع. ولكن عذرا يـا مـولاي لا طاعة في معصية

المدير – (محتجا) الوقوف إلى جواري معصية يا محتسب.

المحتسب – حاشا الله فأنت رجل فاضل على خلق عظـيم. لكنني أريد الاستحمام والوضوء، فلقد فاتتني كثير من الفروض في محنتي أبقى الله مولانا لأنـه أنقـذني منها.

الوالي – ذنبك على أيها المحتسب

هند – الأمان يا مولاي، لا يوجد إنسان قادر علـى تحمـل ذنوب سيدنا المحتسب

المحتسب – إهانة ... إهانة يا مولاي

الوالي – لدى فكرة جيدة لك ... تخيل أنك مازلت محبوسـا في الصندوق واصمت وإلا ... (للجنود) الصندوق التالي. (الجنود يفتحون الصندوق ويخرجون الوزير وهو متأفف من ثيابه).

الوالي – يا خجلي من أي عين ترى ما أرى. ماذا سـيقول عني التاريخ؟ حتى وزيري يختفي في الصندوق كما لو كان مهرجا رخيصا.

الوزير – أسعد الله مساء مولاي ... ما شاء الله الصحة تبدو على وجهك المشرق.

الوالي – (ساخرا) هكذا؟

الوزير – لا شك أن مولاي اتبع نصيحة خادمه الوفي يأكـل الباذنجان نيا على الريق. إنها وصفة لا تخيب للنشاط المتجدد. ورثتها عن الجدود. وحبسك في صـندوق ... هل هذا أيضا ورثته عن الجدود؟

الوزير – (متفكها) آه ... تقصد هذا الـ ... لا أذكـر أن أحدا من جدودي وقع في شيء مثل هذا ...

الوالي – وهل تستطيع يا وزيري أن تفسر لي ما أرى؟

الوزير – طبعا يا مولاي ... إنها قصة طريفة ... سنتسـلى بها في الليالي الهانئة أدامها الله عليك وجعل أيامـك كلها سعادة.

الوالي – هل لديك مانع أن تحكيها لي الآن؟

الوزير – لا مانع إطلاقا ... ولكن أرجو أن يسمح لنا مولانا بتغيير ثيابنا ...

(النجار يدخل فيواجه الثلاثة بعـدوان: الـوزير – المحتسب – المدير) ...

المحتسب – طوفان ... طوفان يا نجار.

الوالي – هدوءا

الوزير – ليسمح لي مولاي أن أخرج مع النجار دقيقة واحدة ...

الوالي – ولماذا؟

الوزير – بيني وبينه ثأر ... وأريد أن أقتص لنفسي ... لن يهدأ بالي إلا إذا قتلته بالنعال ...

الوالي – تأدب ... كفى ... تأدب لقد جاءوا إلـى قصـري وحكوا لي حكايتهم، وأكملوها لي في الطريق ... لقد قبضتم على هذا الشاب.

المدير – هذا صحيح ...

الوالي – ولأن هذه السيدة خطيبته ... أرادت الإفراج عنه؟

الوزير – معذرة يا مولاي هل قلت: خطيبته؟

هند – نعم خطيبته.

الوزير – أرملة ومتزوجة ومخطوبة ... هذا كثير

المدير – تزوير ... تزوير في أوراق رسمية ... هذه البنت قالت إن هذا الولد أخوها ... ألم تقولي هذا؟

هند – كذبت حتى أنقذه.

المحتسب – الكذب حرام ...

المدير – تزوير ... أطلب محاكمتهم للتزوير.

الوالي – ستتم المحاكمة فعلا ... ولكن للجميع.

المدير – يجب أن يشنقوا جميعا ...

النجار – ولماذا؟ أنا لم أفعل شيئا يستحق الشنق ...

هند – ما أسهل ما تطلبون شنق الناس ...

الوزير – أيقبل مولانا أعزه الله أن نكون موضع سخرية من غانية وصعلوك ونجار ...

المحتسب – نجار نجس ...

الوالي – لقد جئت إلى هنا أبحث عن الحق ... وسأصل إليه مهما حدث ... فليكن ثمنه غاليا. ولكن يكفيني أنني عشت في وهم العدل سنوات ... علينا جميعا أن ندفع الثمن غاليا حتى نصل إلى بارقة أمل ... ماذا حدث؟ (يهم الجميع بالكلام)

الوالي – صمتا

الوزير – ألا تعرفون آداب الحديث في حضرة الوالي يا غجر

الوالي – تعلم أنت أيضا آداب الحديث واصمت

المحتسب – أيسمح لي مولاي ... أنا لم أفعل شيئا يؤخذ على لقد كنت أريد الزواج من هذه المرأة بشريعة الله وعلى سنة رسوله.

هند – زواج بالليل ... وطلاق بالنهار ...

حسن – زواج بالقهر

المحتسب – وأين كان القهر؟ لقد عرضت عليهـا الـزواج وقبلت، وكاتبي شاهد على ذلك ... اطلبوه واسألوه

هند – هل كنت أستطيع أن أقول لا؟

المحتسب – طبعا ... طبعا ...

هند – لا يا سيدي المحتسب لم أكن أستطيع أن أقولها

حسن – وعندما تكون الإجابة نعم ونعم فقط ... يكون هـذا هو القهر

المدير – الحكاية يا مولاي ليست حكاية زواج وطـلاق ... فالناس في بلادنا يتزوجـون كالأرانـب ويطلقـون كالكلاب ... لكن القضية الحقيقية هي قضـية هـذا الولد (يشير إلى حسن)

حسن – أنا؟

المدير – لقد تآمر على حياة مولانا

حسن – أنا؟

المدير – منذ ثلاثة أعوام ونحن نراقبه ... كان يقابل بعض المشبوهين

حسن – أنا؟

المدير – راقبناه بدقة ... وعرفنا موعد تنفيـذ الخطـة ...
وكمنا له حول قصر مولانا وقبضنا عليـه بعـد أن
قاومنا مقاومة عنيفة ... أصاب فيها ثلاثة من رجال
الشرطة بجراح ...

حسن – أنا؟

هند – اتق الله يا رجل

حسن – وكيف أصبتهم أيها المدير؟ هيا أجب على سؤالي؟

المدير – بالسيف طبعا

حسن – لو كنا نعرف كيف نستخدم السيف ... لمـا كانـت
هناك قضية ولما أتينا هنا ...

المحتسب – هذا تحريض على الفتنة

الوالي – (للمدير) ثم

المدير – وبعد أن قبضنا على هذا الولـد، وأوشـك علـى
الاعتراف ... هرب من السجن، ليعود للتفكير فـي
جريمته الآثمة ... هذه هي القضية يـا مـولاي ...
وكل ما عداها عبث لا يصح أن نضيع وقتنا الثمـين
فيه ...

هند – أسطورة ظريفة يا مولاي ... تدل على خيال واسـع ... خاصة إذا ما تنبهنا إلى الوقت القصير الذي ألفوا فيه تلك الأسطورة

حسن – نحن لم نفعل شيئا نخجل منه ... لـم نبـدأ أحـدا بالعداوة يا مولاي ... ولا حتى بالمحبـة ... نحـن فعلنا فقط ما كان يجب علينا أن نفعله ...

المدير – اعتراف ... اعتراف

الوالي – اعتراف بماذا أيها المدير ...

المدير – اعتراف بـ ... لا أذكر ... إنما هو اعتراف ...

حسن – نحن فعلنا ما كان يجب علينا أن نفعله يا مولاي ... أما هم فقد فعلوا ما كان يجب عليهم ألا يفعلوه

النجار – أنا فعلت ما كان يجب علي أن أفعلـه ... أقصـد برغمي.

المدير – برغمك؟ غدا إن شاء الله تعرف أنه كـان مـديرا (لحسن) وأنت أيضا ... سأسمع اعترافك قريبا إن شاء الله ... هل نسيت (مندفعا)

المحتسب – أعز الله مولاي ... أنا لا دخل لي بالأمر كلـه كما هو واضح ... ولم أفعـل مـا يغضـب الله ...

ولذلك أقول بكل حيدة ونزاهة إن ما تم كان مؤامرة محبوكة الأطراف ...

المدير – مؤامرة ... مؤامرة تدبر لها بعض الجهات.

الوالي – ما هي هذه الجهات؟

المدير – لم نعرفها بعد ...

الوالي – (للمدير) إذن كيف كنت تعرف أن حسن يتـآمر علي؟ أليس كذلك؟

المدير – أقسم على صحة ما أقول

الوالي – وحاول ذلك فعلا ...

المدير – حاول ...

الوالي – (يقدم له ورقة) إذن لماذا أعطيته صك الإفـراج هذا؟ (المدير يصمت مرتبكا)

الوالي – تكلم ...

المدير – ليسمح لي مولاي أن اسأل مساعدي ... فهو الذي دبر الأمر لحكمة لا أذكرها ...

الوالي – لعلك فعلت ذلك حتى تراقبه ... وتجمع عنه أدلـة أكثر؟ أليس كذلك؟

المدير – بالضبط هذا ما حدث ... ما أحكمك يا مولاي

المحتسب – يا سلام ... ألا يوجد شيء يخفى علـى فطنـة مولانا؟
الوالي – (للوزير) ولعلك أنت أيضا أفرجت عنـه لـنفس السبب ...
الوزير – بالضبط
الوالي – (للمحتسب) وأنت؟
المحتسب – أنا تفاهمت مع السيد مـدير السـجن ووضـعنا الخطة سويا ... ولولا أن حدث مـا حـدث لتمـت الخطة بنجاح.
الوالي – أليست صدفة غريبة؟
الوزير – لقد اتفقنا عليها، لأنها خطة منطقية ...
الوالي – ورغم اتفـاقكم هنـاك ثلاثـة صـكوك للإفـراج (صمت) ألا أجد لديكم يا حكمائي تفسيرا لهذا ...
المحتسب – سنجد بإذن الله تكلم يا مولاي الوزير ...
الوزير – تكلم أيها المدير ... فأنت صاحب الأمر ...
الوالي – أطالبكم يا رجالي بأن تجدوا تفسيرا لما حدث ...
المحتسب – أنا لا أستطيع أن أفكر ألا ومساعدي معي
الوزير – أريد أن أقول ...

الوالي – (مقاطعا) الموقف واضح ... لقد فهمت كل شيء ...

الوزير – من حقي كلمة فأنا الوزير ...

الوالي – لم تعد وزيرا ... لقد عهدت إليك بالأمانـة، لكنـك خنتها ... كلكم خنتم الأمانة ... ويجب أن تعـاقبوا على ذلك ... كلكم معزولون من مناصبكم.

الوزير – (بابتسامة صفراء) أيستطيع مولاي حقا أن يحكم بدوننا ... لقد كنا حكام هذا البلد منذ مئات السنين.

الوالي – لا شك أن هناك من هم أفضل مـنكم ... سـأبحث عنهم بنفسي ... وسيحكم بدلا منكم إلى ذلك الحـين الحاجب.

المدير – لابد أنه هو الذي دبر كل هذا ...

الوالي – وأنت يا نجار ستقدم للمحاكمة ...

النجار – أنا بريء والله؟

الوالي – ستحاكم لمساومة هذه المرأة فقط.

النجار – يحيا العدل ...

هند – بالنسبة للنجار يا مولاي ... أنا قد تنازلت عن حقي.

النجار – يحيا العدل ...

الوالي – (لهند) وأنت كنت سيدة عظيمة بـلا عظمـة ...
خزائني مفتوحة لك ... وإن كنت أظـن أن هـديتك الكبيرة هي حسن الذي فعلت من أجله كل هذا ...

هند – يكفينا أن نحس بالاطمئنان في رحابك يا مولاي ...

الوالي – (لحسن) اطلب ما تشاء يا بني.

حسن – أريد أن أحكي الرؤيا لمولاي ...

الوالي – وماذا سنفعل في المسـاء؟ سنسـمع إليـك آنئـذ.
(للوزير ومجموعته) انصـرفوا. وغـدا تقـدمون للمحاكمة ...

النجار – يحيا العدل ... عشت وشفت الحكام يحاكمون

الوالي – (يصفق للحاجب) من اليوم سنبدأ عهـدا جديـدا
(يدخل الحاجب).

الحاجب – أمر مولاي.

(الحاجب هو نفسه مساعد مدير السجن والكاتـب ووزيـر الوزير يرتدي ملابس فاخرة ويسير متبخترا ... هند تلطم خديها وتجري بعيدا عن المسرح).

(ستار)

النهـــايـــة

عريس لبنت السلطان

الشخصيات

1 – السلطان شعبان الغازي – من سوء حظه أنه كان حاكما للمدينة وقت اكتساح التتار للعالم القديم. وكان التتار وبـاء لا يمكن مقاومته كالطاعون. ومدينته لا تعرف أين هي. ولكنها بين بغداد وحدود مصر.

2 – أحمد الغلبان – شاب جاوز العشرين بقليل، وسيم، مرح باسم دائما، كثير الحركة. صعلوك له أخـلاق الصـعاليك: الاستهانة بالموروثات، والإيمان بقيم جديدة. يحمـل رسـالة خاقان التتار تيمورلنك إلى السلطان.

3 – الأميرة ذهبية – ابنة السلطان يحيطها جلال من نـوع غريب، يعاملها الجميع في قدسية لا تنفعل كغيرها، كلماتهـا واضحة حادة.

4 – أبو الكلام برهان – كبير المنجمين وهو منصب – آنئذ – يختلط بين العلم والدجل. أحد المقربين إلى السلطان، وأحد أعمدة السلطة.

5 – بهاء الملك – الوزير – هادئ بارد حكيم، يريد الخروج (مثل الآخرين) من محنة التتار دون خسارة، ربمـا كـان

شابا. وإذا لم يكن كذلك فقول المنـادي عنـه إنـه (زيـن الشباب) إنما هو من قبيل النفاق.

6 – عياش شارب الدماء – القائد. يحمل داخلـه تناقضـات كثيرة: فهو رجل السلطة وهو أيضا قائد من المفـروض أن يمارس دسائس السياسة، لكنه يحمل داخله وضوح الجنـدي، ككل الجنود محب للحياة والفساد والخمر ... سهل القياد من الأذكياء.

7 – فيروز الياقوتي – شهبندر التجار – لغته الوحيدة هـي البيع والشراء. وهمه الوحيد هو الدينار لا يحب ولا يكـره، لكنه يتاجر في كل شيء.

8 – المهرج – مهرج السلطان. ليس بالصورة التي تتـوارد في القصص القديمة. فهو إنسان عادي في المظهـر، لكنـه خفيف الظل. أتوهم أنه فنان هذا العصر وقد عبر عن نفسـه بالكوميديا المأساوية.

9 – عدنان: ضابط – نموذج واضـح للضـابط الصـغير، الشجاع، الشريف، الذي لا يرى أبعد من أنفه، مخلص لكـل ما يعتقد.

10 – منصور – منجم شاب. في خدمة أبي الكلام برهـان، ولكن بقدر ما في برهان من دجل، بقدر ما فيـه مـن ميـل للعلم. وقد لا يكون هو الذي اخترع المدفع، ولكـن المـدفع اختراع عربي (إذ توصل إليه عالم أندلسي ورأى عـرض اختراعه على الملك وكانت الأندلس مقسـمة بـين ملـوك الطوائف، وتتعرض لهجوم منظم من الأسبان، وبقي العـالم العربي عاما على أبواب الملك. فلما يئس منه، باع اختراعه إلى الأسبان، وبه أنهوا وجود العرب في الأندلس).

11 – شوق – ابنة برهان: فتاة متحررة في ذلـك الوقـت. تخرج إلى الأسواق. تحلم بالزواج من أي رجل.

12 – المنادي: يعمل مناديا في المدينة. وهـو أيضـا راوي لأحداث قصتنا. خفيف الظل دائما حركته خارج المسرح إلا في الفصل الثاني.

الفصل الأول

(... عنـدما يرتفـع السـتار يكون أبو الكلام برهـان كبيـر المنجمين في غرفة الاسـتقبال بقصره يعد لجلسة تحضير ملك الجان ... أمامـه موقـد فيـه بخور يعبق المكـان. وربمـا ساعده صبيانه في هذا العمل. في حين يطوف المنادي يحمل طبلته معلنا الأوامر السلطانية، ومن الأفضل أن تكون حركتـه خارج خشبة المسرح).

المنادي – (مناديا) يا أهل المدينة الكرام، يا عزة الإسلام، يا فرسان الحرب وأرباب الكلام، يا خير أمـة بـين الأنام (متثائبا لنفسه) أريد أن أنام ... (مناديـا) بعد التحية والسلام. إليكم هذا البيـان الهـام: مـن السلطان شعبان الغازي سيد السلم وفارس الصـدام، قال أعزه الله، ودام: بينما المدينة تحيـا فـي أمـان الليالي وعز الأيام إذ حاصرها التتار (لا يجد الكلمة فيقول) حصار الصـقور للحمـام، أيهـا السـادة الأفاضل. الزموا الدور والمنازل، وتحصـنوا فـي القلاع والمعاقل، وادعوا بالنصر لمولانا السـلطان، فارس الزمان وبطل العصر والأوان، والآن ...

(يترك الطبلة ويخاطب الجمهور)

والآن ... يا سادتي هناك اجتماع خطيـر، تنتظـره المدينة على أحر من الجمر، الاجتماع هنا (يشـير إلى بيت برهان) نعم في بيت سـيدنا أبـي الكـلام برهان، علامة زمانه، وفريد عصره وأوانه، عبقري الحساب والجبر والفلك والكيمياء والسيمياء والسحر. وقد شرفه مولانا السلطان بتعيينه كبيرا للمنجمـين.

وهو يتقاضى راتبا شهريا يوازي بالضبط راتبي في تسعمائة وخمسين عاما. ومـا يدهشـني أن منجمـا بارعا مثله لا يعرف ما تفعله ابنته شوق. ولو عرف لقتل نفسه حسرة ...

(يدخل الوزير بهاء الملك إلى برهـان ويتبـادلان حديثا صامتا، يبدو أنه حول حصار المدينة) .

المنادي – مولاي بهاء الملك وزير السـلطان، احكـم أهـل زمانه، وأعدلهم، وأعقلهم. لولاه لما كانـت مـدينتنا عظيمة وثرية وشامخة ... لا يعيبه إلا بعض الهنات الهينات مثل الرشوة والمحسوبية (يـدخل شـهبندر التجار فيروز الياقوتي)

المنادي – السيد فيروز الياقوتي. أظنكم عرفتم منصبه، فحتى الأسماء تدل على المناصب. أفضل قناص في مدينتنا اسمه صقر، وأشهر مقاتل اسمه الرميحي. وأنا اسمي العريان، لابد أنكم عرفتم أن فيروز اليـاقوتي هـو شهبندر التجار. (يدخل القائد عياش لينضـم إلـى زملائه).

المنادي – أذكياء أنتم ... والفضوليون دائما أذكياء. نعم انه قائد الجيش: عياش شارب الدماء. منتصر دائما ... مظفر أبدا ... راياته مرفوعة ... وإن لم يحارب في حياته قط. ومع ذلك فهو رجل شجاع، نبيل الطباع. يعيب عليه الناس أنه من هواة القـدود السـمهرية، والعيون المغربية، والشعور الذهبية. ولكنني لا أرى في ذلك عيبا، زينب بنت سنان التي يعشقها في هذه الأيام، وتتدلل عليه، تدير الرؤوس فعلا ... آسـف ... ما كان يحق لي أن أقول هذا الكـلام والمدينـة محاصرة ... عيب ... (المنادي يلتقط الطبلة ويعود إلى النداء).

المنادي – يا أهل المدينة الكرام ... لقد هجم اللئام. ومزقـوا عهد السلام.

(المنادي يخرج)

بهاء – ببساطة الموقف: فظيع ... فظيع ... فظيع

فيروز – إن المدينة تموت جوعا، والقوافل خارج الأسـوار تحمل الخيرات.

برهان – هذه المدينة لا يقلق الإنسان عليها، لقـد تعرضـت لأحداث أكثر بشاعة، وفي كل مرة كانـت تخـرج ظافرة.

بهاء – لكنهم التتار هذه المرة.

عياش – وهل التتار لا يهزمون؟

بهاء – لم نسمع أنهم هزموا قط، لقد زحفـوا مـن أقاصـي الدنيا، واجتاحوا السند والتركمان.

برهان – (متأوها) وألقوا بكنوز العلم في النهر

عياش – لكل شيء نهاية. ونهايتهم على أيدينا بإذن الله

بهاء – ولكن كيف؟ كيف؟

فيروز – كبير المنجمين سيقول لنا، والله إن كلامه أحلى من الأصفر الرنان.

برهان – أطلب الصمت الشديد، لا أريد ثرثرة فمـا أفعله ليس عبثا ولا لعب عيال.

بهاء – نعرف، لقد تركنا أشغالنا وجئنا إليك لنعرف مصـير مدينتنا ...

عياش – وكرامتنا ...

فيروز – وأموالنا ...

بهاء – بي شوق لأن أعرف مستقبل مدينتنا ... ولكن هـل ذلك بالإمكان؟

برهان – (ساخطا) وهل فشلت في– أمر كهذا من قبل؟

فيروز – لا والشهادة لله.

عياش – توكل على الله فالوقت يمر.

فيروز – والقوافل واقفة خارج المدينة. حمولتهـا صـارت تساوي ذهبا.

برهان – إذن الزموا الصمت. لا ينطق أحدكم بكلمـة، وإلا انتزعت روحه. خطأ واحد يقتلنا جميعا.

(برهان يضع بخورا ويهمهم بكلام غير مفهوم)

برهان – بحق سليمان والأسهم والمرجان، من هنا إلى آخر المكان. بحق النور والبنور والظلام وأقدس الكـلام. رمضان كركعان ... بحق سليمان اظهر يـا ملـك الجان.

(صوت مخيف، النور يظلم ويبرق، الرعب يجتـاح الجميع فيصدرون همهمات خوف: يا ستار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: يا رحمن يا رحيم ...)

برهان – (غاضبا) صمتا ... فأنتم في حضرة شـمهورش ملك الجان. (يلين حديثه) مولانا العظيم وصـاحب نعمتنا ... هل شرفت داري المتواضعة؟

(الإضاءة تكون خافتة طـول حـديث شـمهورش، وصوته الذي يأتي من الخارج مرعبا رهيبا هو فـي الحقيقة صوت منصور الذي سنراه فيما بعد صـبيا لكبير المنجمين).

صوت – اللعنة عليكم ... ألا يستطيع ملك الجان أن ينام في هذا الزمان (الجميع يبدو عليهم الخوف).

برهان – السماح يا سيد الجان السـماح. عبيـدك يـودون التشرف بالحديث إليك ...

صوت – لكنني نعسان ...

برهان – المعذرة يا ملك ملوك الجان ... إنهم يأملون فـي صبرك ... ويقبلون يديك والأرض بين قدميك.

صوت – طيب ... طيب ... ولكن اختصروا، فلقد استيقظت من حلم جميل ...

برهان – إنهم يريدون إلقاء بعض الأسئلة.

صوت – عن أي شيء ...؟

برهان – وهل هناك ما يشغلنا سوى المغول ...

صوت – آه ... سمعت هذه الأخبار أمس ... الساعة التاسعة ...

برهان – الأسئلة كلها عن حصار المدينة

صوت – يا برهان ... قل لهم أن يذهبوا ليحاربوا بدلا من الثرثرة وإضاعة الوقت.

(برهان مصدوما، فليس هذا هو الكلام الذي اتفق عليه. لكنه يلين الحديث في تملق ممزوج بالتهديد)

برهان – مولاي ... إنهم طامعون في كرم أخلاقك ... وهم من كبار القوم.

صوت – أنا تعبان، سهرة الأمس كانت إلى الصباح.

برهان – مولاي

صوت – حسن. لكل شخص سؤال واحد فقط لا غير.

برهان – (صائحا للجميع) هل سمعتم؟ (همهمات) نعم ... سؤال واحد فقط؟

صوت – (غاضبا) صمتا يا كلاب (برهان يصدم. لكنه يلين الحديث)

برهان – بهدوء يا سادة ... لا تغضبوا سيدنا شمهورش ... الأسئلة بلا ضجة ... ابدأ يا سيد فيروز.

فيروز – مولاي يا صاحب عرش الماس، وقصر المرجان

صوت – بلا نفاق

فيروز – أريد أن أعرف هل ستتمكن قـوافلي مـن دخـول المدينة؟

صوت – هذا يتوقف على انتهاء الحصار

فيروز – ومتى ينتهي الحصار؟

صوت – قلنا سؤال واحد يا غبي

برهان – صمتا ... سؤال واحد ... الدور للوزير

بهاء – هل يكون لي فضل دحر المغول ...؟

الصوت – إذا دحرتهم ...

بهاء – وهل أستطيع؟

الصوت – هل أتيت لي بمغفلين؟ قلنا سؤال واحد ...

برهان – اسمعوا الكلام يا سادة، ولا تغضبوا ملك الجان. هيا أيها القائد ...

عياش – متى يرفع الحصار؟ وهل يكـون ذلـك بقوتنـا أو بوصول مدد من الخارج؟ أو نتيجة ضعف المغـول، وكم عددهم؟ وهل أتزوج بنت السلطان بعد النصر؟

وقبل ذلك هل أنال وصال زينب بنت سنان؟ وهـل آمن لنائبي أم هو عميل للتتار كما يقولون؟

برهان – (مقاطعا) كفى ... كفى ... ما هذا كله؟

عياش – إنه سؤال واحد ... لكنه سؤال مفحم ...

برهان – مولانا شمهورش ... ما إجابتك على هذا السـؤال المفحم؟

الصوت – لو كانت الجن تلبس الأحذية لضربته بالحذاء.

عياش – (محتجا) مولاي ... إنني القائد عيـاش شـارب الدماء ...

الصوت – طظ

عياش – طظ ... أنا يقال لي طظ؟ (مهددا) أنا لا أسـمح ...

الصوت – (مقاطعا) أتتحداني يا عياش ...

برهان – رحمتك يا سيد الجان

الصوت – لا رحمة مع هذا المعتوه ...

عياش – أنا معتوه ... (عياش يسل سيفه)

عياش – لو كنت رجلا حقا، تعال وقاتلني كما يقاتل الرجال ...

الصوت – أنا لا أقاتل حشرة.

عياش – حشرة ... أنا حشرة؟

الصوت – لقد حكمت عليه أن يسخط قردا ...

برهان – يا ألطاف الله.

عياش – (مذعورا) قرد؟

برهان – ضاع الرجل ...

عياش – قرد؟

برهان – عفوك يا ملك الجان ...

عياش – لا ... إلا حكاية قرد هذه

برهان – اركع واطلب العفو يا عياش

(عياش يركع)

عياش – المغفرة يا مولاي ولكنك أنت الذي بدأت قلة الأدب ...

الصوت – خلاص ... انتهينا ... ولكن انتظر ما ستفعله بك زينب بنت سنان. انتهت الأسئلة ولا تزعجني مـرة أخرى يا برهان (يتثاءب) أنا ذاهب لأنام.

(أصوات مخيفة وبرق، وتعود الإضاءة إلـى مـا كانت عليه)

عياش – إنه لم يرد على سؤالي

بهاء – ولم نعرف متى يرفع الحصار؟

فيروز – بصراحة هذا أخبث عفريت رأيته في حياتي.

عياش – وجبان أيضا ... لقد خاف مني

برهان – احمد الله يا رجل ... فلولا أن قلبه رق لكنت قردا الآن.

بهاء – ألا يمكن إقناعه بالرد على أسئلتي؟

برهان – فيما بعد ... ليس الآن ...

بهاء – هيا بنا يا رجال فأمامنا عمل مرهق.

(يخرج بهاء الملك، وفيروز، أما عيـاش فيخـرج متلكئا، ومن باب آخر يأتي منصور الذي يقترب من برهان، وبرهان يقابله في جفاء) هل ذهبوا؟

برهان – كنت سخيفا اليوم، ولا تطاق، ما حكاية هذا السؤال الواحد؟ ولماذا تشاجرت مع عياش؟ هل أنت مجنون؟ ثم لماذا هددته بتحويله قردا. لنفرض أنه تحداك ماذا كنت ستفعل؟ غبي ... غبي ...

منصور – لقد ضقت بالشعوذة

برهان – لا خير فيك ... (إنها أسهل وأربح مهنة في الدنيا ...)

منصور – خلصني منها أعزك الله ... وانظر في أوراقـي
لعلي أكون وصلت إلى شيء يقرر مصـير المدينـة
...
برهان – كلام فارغ ... ستقول لي بارود وحديد ... وشيء
يخرج متنه ... لا ... لا ... لا لا تصـدع رأسـي
بهذا الكلام ... الحرب يا ولـدي يحسـمها الحسـام
ويربحها الرمح.
منصور – إذن اسمح لي أن أعرض أوراقي على السـلطان
...
برهان – إياك أن تفكر في شيء كهذا ... (القائـد عيـاش
يعود)
برهان – سيدي عياش ... (عياش يفتش في المكان) هـل
نسيت مفاتيحي هنا؟
منصور – مفاتيحك في يدك يا سيدي القائد ...
عياش – آه ... هذا صحيح ... أخـزى الله الشـيطان ...
(متلكئا) إذن أترككم في سلام.
(عياش يسير حتى الباب متلكئا. ثم يعـود بسـرعة
ويجلس على مقعد)

عياش – أنا جالس هنا ... ولن أترك هذا المكان قبل أن يرد شمهورش على سؤالي.

برهان – سيدي ...

منصور – سأكتفي بسؤال واحد ... هيا أستدعيه الآن

برهان – مستحيل

عياش – ولماذا؟

برهان – مستحيل تماما ...

منصور – ألم تعرف ما حدث يا سيدي؟ لقـد عـاد الملـك شمهورش إلى بلاده، وما إن دخلها، حتـى جـاءت جيوش العفاريت الحمر، وحاصروا مدينته ...

عياش – (بدهشة) شمهورش محاصـر (يضـحك فجـأة بسعادة) شمهورش محاصر ... يستحق. كان قليـل الأدب – كان يريد تحويلي قردا ... (عياش يخرج وهو مازال سعيدا) أنا وشمهورش متساويان ... هو محاصر وأنا محاصر ... العفاريت الزرق والتتـار ... حلوة ... حلوة

برهان – أنت ولد ذكي لولا جنونك بالبارود

منصور – آه لو سمعتني يا سيدي. ربما نصرنا الله بفكرتي.

برهان – لا تكن غبيا فالأفكار على قدر الرجـال. مثلـك لا يبتكر إلا الأفكار التافهـة. أمـا الأفكـار العظيمـة فيبتكرها العظماء مثلي.

(تدخل شوق ابنة برهان)

برهان – (ساخطا) – شوق؟ أين كنت؟

شوق – في السوق.

برهان – (لمنصور) اذهب أنت.

منصور – اسمح لي بلقاء السلطان

برهان – أنت تصدع رأسي بلا جـدوى ... سـتذهب إلـى السلطان وتعرض عليه أوراقك فيحولها إلي. وأنا لن أقرأها (لشوق) لقد طال غيابك. كان الوزير هنا.

شوق – أحقا؟

برهان – كان يجب أن تكوني موجودة ...

منصور – يريد أن يزوجك من الوزير ...

برهان – اخرس يا ولد ... لا تتدخل في أموري العائلية.

منصور – لقد وعدت أن تزوجني من شوق.

برهان – هل استأجرك أحد لتصل بي إلى مستشفى المجانين ...

شوق – والله إن منصور شاب ظريف. وهـو أوسـم مـن الوزير، ولا يعيبه سوى فقره. لم لا تساعده يا أبـي وأنت قادر على تحويل الحديد إلى ذهب؟

برهان – يا بنت المجانين أتريدين حقا أن أدع الوزير يتزوج بنت السلطان، ويقضي على نفوذي

منصور – قلها بصراحة ... لقد تخابثت وتاجرت بعواطفي.

برهان – لو تاجرت بعواطفك لأفلست ... أنـت نفسـك لا تساوي درهما.

منصور – (غاضبا) أنت شيطان يرتدي ثياب إنسان.

برهان – (ثائرا) أتسبني يا ولد؟ (يتجادلان فـي عنـف، وشوق سعيدة بالصراع حولها)

منصور – أنا أريد شوق

برهان – بعينك ...

منصور – وسآخذها غصبا عنك ...

شوق – يا حليلة ...

برهان – أخذتك مشنقة ...

منصور – لن يتزوجها غيري ...

برهان – سأزوجها للوزير ...

شوق – حلو ...

منصور – لن أعمل معك بعد اليوم ...

برهان – الباب يسع جملا

منصور – وسأعرض أوراقي على السلطان

برهان – اعرضها على شمهورش نفسه ...

(دقات طبلة المنادي تجعلهم يتشاجرون في صمت. وأثناء كلام المنادي يتغيـر المنظـر إلـى صـالة العرش).

المنادي – يا أهل المدينة اسمعوا النفيـر ... إلـيكم البيـان الأخير، أمر سلطاني إلى الوزير، إلى مـدير عـام الدعاية، إلى العبد الفقير، بشرى للجمع الغفير رجالنا البواسل انقضوا على التتار صالوا وجـالوا، وأتـوا بأسير، فسبحانه القهار المجير ... (للجمهور) لقـد لمحته، نعم لمحت الأسير، في الحقيقـة لـيس هـو بأسير. مديرية الدعاية التي أعمل تـزوق الأشـياء أحيانا، إنه رسول التتار إلى مولانا السلطان. ولكـن لأن مدينتنا لم تأسر عدوا واحدا منذ سبعين عاما، فقد اعتبرناه أسيرا ... لا تغضبوا منـي لقـد أعجبنـي

الشاب ... ذلك الرسول ولد ولا الرجال. لقد حـاول بعض الجنود قتله. لم تسنح لهم فرصة مقابلة عـدو من قبل. ولكن الولد واجههم في شجاعة الفرسـان. أقول هذا واستغفر الله لي ولكـم ... (يشـير إلـى خشبة المسرح) الآن. في هذا المكان يأتون بالرسول ... أقصد الأسير ... ليستقبله مولانا السلطان بنفسه.

المنادي – يا أهل المدينة الكرام، اسمعوا النفير ... وإلـيكم هذا البيان الأخير ...

(على المسرح بهاء الملك وبرهـان فـي انتظـار الباقين).

برهان – لقد تغير الزمان ... كان مولانا السلطان بضـرب عنق كل رسول تتري ...

الوزير – كان ذلك قبل حصار المدينة. لم نكن ندرك مـدى قوتهم.

برهان – وأين هذا الرسول؟

بهاء – بين يدي عياش. وهذا ما يقلقني.

برهان – أتظن أن عياش قد يعرف منه معلومـات يخفيهـا عنا.

بهاء – أي معلومات من حقنا جميعا.

برهان – هذا هو العدل (فيروز يدخل مهرولا).

فيروز – أصحيحة هذه البشرى؟

برهان – بشرى؟

فيروز – قيل لي إن المغول بعثوا لنا برسول.

بهاء – وتسمى هذه بشرى يا شهبندر التجار؟

فيروز – ولم لا؟ عندما يبدأون الحوار بدلا من القتال، فهـذا يعني إما ضعفهم أو رجوعهم إلـى العقـل. وفـي الحالتين يجب أن نتفاءل.

بهاء – لقد تأخر عياش بالرسول. ومولانا السـلطان علـى وشك الحضور.

فيروز – لا شك أنه يستشف منه الأخبار وحده.

بهاء – يكون قد أخطأ ... لأن الرسالة موجهة إلى السلطان لا إلى القائد عياش (عيـاش يـدخل مـع الكلمـة الأخيرة).

عياش – أرى أن سيدي الوزير يذكرني دائما.

بهاء – ومن نذكر غيرك في هذا الوقت؟

فيروز – أين الرسول؟

عياش – موجود ...

بهاء – هل تكلمت معه.

عياش – بالتأكيد.

برهان – وما أخباره؟

عياش – ولم العجلة؟ سيأتي مولانا السلطان ونحكـي كـل شيء.

بهاء – هل تخفي عنا شيئا.

عياش – أبدا ... لكنني لا أحب تكرار الحديث.

برهان – لو كنا على بينة برسالته الآن، لكان أمامنـا وقـت للتفكير، حتى نشير على مولانا السلطان بما يجب.

عياش – أنتم لا تعرفون الصبر.

فيروز – حقا ... لماذا نحن قلقون هكـذا ... إنهـا رسـالة الخير إن شاء الله ... (السلطان يدخل ... يقفون له احتراما. يجلس ويشير لهم بالجلوس)

السلطان – أين الرسول؟

عياش – رهن إشارة مولاي

السلطان – دعه يدخل.

(عياش يشير ناحية الباب ... فيـدخل أحمـد فـي حراسة الضابط عدنان. الجميع ما عـدا عيـاش – ينظرون إليه دهشة لأنه ليس تتريا).

السلطان – أنت رسول التتار؟

برهان – نعم يا مولاي السلطان ... (تزداد دهشة الجميـع كما لو كانوا يرون أعجوبة).

فيروز – الله أكبر.

السلطان – أنت تتكلم بلغتنا.

فيروز – دلالة الخير إن شاء الله.

عياش – إنه ليس تتريا ... إنه عربي يا مولاي.

السلطان – رسول التتار عربي؟

برهان – خائن.

بهاء – جاسوس.

فيروز – كيف يكون هذا؟

السلطان – صمت (لأحمد) ألا يبدو لك الأمر غريبا بعض الشيء أيها الشاب.

أحمد – لقد رأيت في حياتي من العجائـب الكثيـر، حتـى صرت لا أعجب لشيء.

السلطان – تتحدث كعجوز رغم أنك على ما يبدو لم تتجاوز العشرين بكثير.

أحمد – عمر الإنسان لا يقاس بالسنين، بل بعدد المرات التي يختار فيها بين ما لا يجب وما لا يجب، بين الخطـأ والخطأ.

برهان – إنه مهرج يدعي الحكمة.

السلطان – ألم يكن أفضل لك أن تختار عملا آخر.

أحمد – أنا صعلوك يا مولاي لا أختـار عملـي ... ولكـن العمل يختارني أحيانا، أنا دهشت لأني عملت قاضيا ذات مرة، فلقد عملت قبلها حطابـا وكنـت سـعيدا ودخلت مدينة لأعمل فيها حاويا يـروض الثعـابين فاختارني الوالي ضابطا في جيشـه ... وصـحبت قافلة كحمال فصرت في نصف الطريق قائدها، وفي نهاية الطريق سلموني إلى الشرطة. وعندما اختارني المغول لحمل رسالتهم، كنت أزرع أرضي.

بهاء – أنت تخدم أعداءنا.

أحمد – لا يا سيدي ... أنا لا أخدمهم في الحقيقة أنا لا أخدم أحدا ... كانوا يريدون توصيل رسالة، ولم يجـدوا غيري ... هذا كل ما هنالك.

برهان – وكم قبضت أجرا لذلك؟

أحمد – كيسا من الفضة أخذه القائد

عياش – صادرناه لحين سماع أوامر مولانا السلطان.

السلطان – أنت لا تهمنا في كثير أو قليل ... ما يهمنا هـو الرسالة ... فهيا أعرض علينا الرسالة.

أحمد – حقا أنا أعمل رسولا لأول مرة، ولكنني أحب إجـادة عملي مهما كان. ولذلك سأعرض الرسالة من نهايتها ... تيمورلنك خاقان التتار يعـرض علـيكم رفـع الحصار عن المدينة!

فيروز – (مقاطعا) الله اكبر ... الله اكبر ... جاء النصـر وعادت القوافل.

السلطان – اصعد إلى أول الرسالة.

أحمد – يريد الخاقان أن يؤكد صـداقته لمـولاي السـلطان ولذلك يعرض عليكم المصاهرة.

السلطان – (ضاحكا) ليت الشباب يعود يوما ... ترى هل أصلح للزواج الآن؟

أحمد – بل الخاقان سيكون الزوج.

السلطان – زوج من؟

أحمد – مولاتي الأميرة ذهبية بنت السلطان.

(حالة استنكار وفزع تجتاح الجميع).

عياش – مستحيل

بهاء – إنه جنون

فيروز – حماقة

عياش – سيدفع الثمن هذا الوثني.

برهان – يا رحمة السماء ...

فيروز – أي شيء إلا هذا ... انه أعور أعرج.

السلطان – لم أسمع في حياتي بشيء أكثر سخافة مـن هـذا الطلب.

برهان – أشير بقتل هذا الرسـول فـورا (عـدنان يجـرد سيفه).

بهاء – قتله ليس كافيا، لتقطع يداه ورجلاه من خـلاف أولا ...

عدنان – أيسمح لي مولاي السلطان بقتل هذا اللعين.

عياش – (لأحمد) ألا تعرف أيها الأبله من هي ذهبية؟
عدنان – إنها أجمل وأطهر وأنبل ما في مدينتنا ...
برهان – إننا لا نستطيع أن نعيش لحظة بدونها.
ياقوت – مالي فداؤها.
بهاء – والله لو أنه طلب نساء الدنيا لكان أيسر من ذهبية.
عياش – لن نقبل بسماع طلب كهذا وفي المدينة رجل واحد، تسري في عروقه نقطة دم واحدة، ليوم واحد.
السلطان – أسمعت أيها الرسول. هذا هو الرد على رسالتك.
أحمد – على إبلاغ الرسالة، وليس على نجاحها. في الحقيقة نجاحها أمر لا يهمني.
السلطان – لقد أجاب عني عقلاء مدينتي وسادتها ... لن أستطيع أن أغير رأيهم لو أردت، رغم أنني السلطان، ولن يستطيعوا تغيير رأي العامة لو أرادوا ... فذهبية أغلى ما في مدينتا.
عدنان – ما قيمة أي شيء إذا ما فرطنا فيها.
برهان – أرى يا مولاي أن نضرب عنق هذا الرجل أسوة بمن سبقوه من الرسل.

عياش – دعوه لي وسأختار – له قتلة يكتب عنها المؤرخون ألف سنة.

السلطان – أراك تبدو غير مكترث أيها الشـاب، ألا تخـاف الموت؟

أحمد – سيدي السلطان لقد وقعت بين أيدي التتار، ولم يكـن بين يدي سوى فأسي كنت وحدي، وكانوا مائة ألـف جندي. ومع ذلك فقد نجوت.

عياش – سيقتلك أصغر جندي في جيشي.

أحمد – لن تخيفني أيها القائد ... بعد أن أخذت كيس نقودي لم أعد أخاف.

بهاء – أطيحوا برأسه.

عدنان – أنفذ الأمر يا مولاي؟

عياش – معذرة في إلحاحي يا مولاي السلطان، ولكن إذا لم تسمح لي بإطاحة رأسه لن يهدأ بالي.

السلطان – وما رأى وزيرنا؟

بهاء – القتل فورا.

السلطان – وشهبندر التجار؟

فيروز – أوافق ... ولتبقى القوافل كما هي.

عدنان – أنفذ الأمر يا مولاي؟
أحمد – ألا تأخذ رأيي أيها السلطان أنا أيضا ...
عياش – اخرس ...
السلطان – أنت تدهشني أيها الشاب، هل تريـدنا أن نأخـذ رأيك في قتالك.
أحمد – ولم لا يا مولاي ... فقد أكون مستشارا أكثر حكمـة من مثل هؤلاء.
برهان – وقح.
السلطان – ولم لا نسمعه طالما سيموت في النهاية، إنه شيء طريف حقا ... تكلم يا ولد.
أحمد – تعرفون أن السفارة ثلاثة أيام ... والخاقان ينتظـر الرد ... لذلك لن يحارب في هذه الأيـام، بإمكـانكم الاستفادة من هذه الفرصة (للقائد) ثلاثة أيام كافيـة لسد الثغرة في السور الجنوبي (للشـهبندر) وأقـل منها كاف لنقل المؤن من المخازن في غرب المدينة إلى وسطها.
السلطان – هذا رأي مخلص حتى لو كان من رسول التتار.
عياش – نقتله ونتكتم الخبر ...

أحمد – فكرة جميلة لولا أن للتار جواسيسـهم هنـا ... وإلا فقل لي كيف عرفوا يا سيدي القائد أنك وقفت علـى باب زينب أمس في الساعة العاشرة مسـاء، وأنهـا القت الماء الوسخ على رأسك؟

عياش – كاذب.

السلطان – أميل إلى المحافظة على حياة الرسول ثلاثة أيام.

بهاء – وبعدها سيطير رأسك من على عنقك.

أحمد – لقد كسبت الحياة ثلاثة أيام في ثـلاث دقـائق، فـلا تتعجل يا سيدي. من يدري ما يحدث في ثلاثة أيـام كاملة؟

السلطان – حافظوا على هذا الشاب حياتـك أيهـا الضـابط مرهونة بحياته.

عدنان – أمر مولاي ... (عدنان يخرج بأحمد).

السلطان – هيه ... ما رأيكم يا رجالي؟

بهاء – وهل الأمر يحتاج إلى رأينا؟

فيروز – إن قلامة ظفر من أصابع ذهبية أغلى من حياتنـا جميعا.

برهان – طلب أحمق ... ورسول أحمق ... وخاقان أحمـق ...

عياش – أرجو تكتم خبر هذه الرسالة. لو سمع بها رجـالي لثاروا.

فيروز – ما رأى مولانا لو أننا انتهزنـا الفرصـة وأدخلنـا قواتنا المحتجزة خارج المدينة خلال هذه الأيام.

عياش – وهل نتصور أن التتار سيغمضون العين إلى هـذا الحد؟

السلطان – لقد ضقت بهـذه الحـرب ... أحلامـي تمتلـئ بالكوابيس ... أردد كلمات الأمل، ولكـن قلبـي لا يصدق شيئا منها ... قل لي يا برهان مـاذا تقـول النجوم في هذا الأمر.

برهان – النصر لمولاي بإذن الله.

السلطان – هذا ما يطمئنني لم تخب لك نبوءة من قبـل يـا برهان ... فلماذا تخيب هذه المرة؟ (يظهر المنادي ... في الوقت الذي ينسحب فيه الجميع مـن قاعـة العرش).

المنادي – يا أهل المدينة ... أمر من مولانا السلطان لقد منح عهد الأمان، إلى رسول التتار أحمد الغلبان، وسيقيم ثلاثة أيام في هذا المكان، فـلا يؤذيـه إنسـان، ولا

يجرحه لسان، وبعدها تكون الحرب وينصرنا الكريم المنان.

(يظهر على خشبة المسرح عدنان يدفع أحمد إلـى الداخل).

أحمد – أنت عنيف بعض الشيء ... لكنك مع ذلك تعجبني.

عدنان – أما أنت فلا تعجبني على الإطلاق ...

أحمد – هذا لا يدهشني ... فأنا عادة أحوز إعجاب النسـاء، وأكسب العجائز، وأبهر الأطفال أمـا الشـبان فـلا يحبونني.

عدنان – أنت شديد الغرور.

أحمد – إنها ليست الصفة الوحيدة التي أحبها في نفسـي ... أنا بصراحة أحوز على عديد من الصفات اللامعة.

عدنان – أنت لا تطاق ...

أحمد – أحقا؟

عدنان – ودنيء

أحمد – صحيح؟

عدنان – ألا تغضب للإهانة؟

أحمد – وهل أردت إهانتي؟

عدنان – طبعا.

أحمد – لقد اعتقدت أنك تقول رأيك في ... ولأنني أعجوبـة هذا الزمن لا يزعجني رأي أحد

عدنان – ماذا أفعل لتقبل مبارزتي؟

أحمد – أنت أحب إلى من أن أسمح لنفسي بقتلك

عدنان – إهانة لا يغسلها إلا الدم ...

أحمد – اعتذر

عدنان – أنا لا أقبل اعتذارا ...

أحمد – حسن ... سأركع على قدمي أمامك طالبا المغفرة يا سيد الفرسان.

عدنان – أنت لعين

أحمد – وأنت ساذج مثلهم جميعا ... تريد قتالي لتصـورك أنني خائن ... لكنني لست كذلك حتى لـو حملـت رسالة من الخاقان، لقد خيروني بين الموت وحمـل الرسالة. وأنا أحب الحياة ... الرسالة كانت ستصـل على أي حال ... وفي الحقيقة وجدتها لعبة ظريفـة وأنا أحب اللعب ...

عدنان – هذه هي اللعبة التي ستكلفك رأسك ...

أحمد – كلما غلي الرهان، كلما احلوت اللعبة ...

عدنان – ماذا تريد بالضبط ...

أحمد – يا صاحبي لقد اكتشفت منذ زمن طويـل أن الحيـاة لعبة سخيفة ظريفة ... مضحكة حمقاء ... ممتعة بلا طعم ... لذلك أردت أن ألعبها ... أنا لا أفعل إلا ما أهوى. لا أترك عقلي لأحد يعبث فيه. لا أحب السير إلا على حد السيف، ولا أنام إلا تحت ظل المشـنقة، أعشق الدهشة وألتذ بالخوف، وأهوى السباحة ضـد التيار ...

عدنان – تحقق لي أمنية عمري. لو قبلت مبارزتي.

أحمد – لا تلح علي ... فأنا أكره أن أرفض طلبا لشاب طيب القلب مثلك.

عدنان – ما رأيك في فناء القصر الخلفي بعد ساعة؟

أحمد – ما رأيك في هذا المكان والآن ...

عدنان – مستحيل ...

أحمد – لا تؤجل لحظة السعادة إلى الغد.

عدنان – الأميرة ذهبية تريد رؤيتك الآن ...

أحمد – الأميرة ذهبية؟ ماذا تريد مني؟

عدنان – لا أعرف ... لن أقتلك قبل أن تقابلها ...

أحمد – قل لي هل هي جميلة؟

عدنان – هي الجمال نفسه انتظر هنا ولا تتحرك ... سأذهب وأخبرها بوجودك ... ولا تنس موعدنا بعد ساعة

أحمد – في ساعة يحدث الكثير.

(يخرج عدنان، يسير أحمد إلى العرش، ينظر إليـه يختبره، ثم يجلس عليه، يدخل المهرج)

المهرج – ماذا تفعل هنا أيها التتري؟

أحمد – أنا لست تتريا

المهرج – حتى لو لم تكن كذلك، لا يحق لك أن تجلس على هذا الكرسي.

أحمد – إنه مريح على عكس ما يقولون ... لعلي ألعب هذه اللعبة ذات يوم، لكنه لعبة ذات مخـاطر. سـهل أن تكون سلطانا ... وصعب أن تعود نفسك بعد ذلـك ... أفضل لك أن تكون صعلوكا، فلا تفقد أبدا متعـة الحلم ...

المهرج – أنت مجنون.

أحمد – هذا أنا فمن أنت؟

المهرج – أنا مهرج السلطان ...

أحمد – أرثي لك فليس أصعب من إضحاك سلطان في زمن الحرب.

المهرج – ليس أصعب من إضحاكه في زمن السلم ...

أحمد – تبدو حكيما أيها المهرج ... فما اسمك؟

المهرج – وهكذا تكسبني عدوا لك

أحمد – هوايتي كسب عداء الناس ... لكنني لم أكسب عداوة احد من قبل بسؤاله عن اسمه

المهرج – عندما يصفعونني على قفاي أضحك ... ولكنني أغضب عندما يسألني أحد عن اسمي ...

أحمد – أخي ... لقد اخترع الناس الأسماء حتى لا تضيع الديون ... فهل عليك دين؟

المهرج – المهرجون لا يعرفون الديون، يعرفها فقط من يأخذ الحياة مأخذ الجد.

أحمد – إذن لماذا لا تقول اسمك؟ خذ الأمور ببساطة وقل إنك قيصر الروم.

المهرج – سأقول لك اسمي ... ستعرفه بالتأكيد من الآخرين ... فلتعرفه مني أفضل ... اسمي عزة.

أحمد – ماذا؟

المهرج – أنت رجل طيب القلب ... بدأت بالدهشة في حين يبدأ الآخرون بالسخرية.

أحمد – ولكن لماذا؟

المهرج – وجه هذا السؤال إلى أمي ... لقد أنجبت عشـرة أولاد ماتوا جميعا ... فلما ولدتني خافت على مـن الحسد ... تصور؟ فأسمتني عزة ... وهكذا عشت، يبدو أن هذا زمن لا يعيش فيه الرجال.

أحمد – ماذا يهم الاسم ... أنت رجل على أي حال.

المهرج – عندما تضحك وأنت لا تريد أن تضحك، لا تكون رجلا.

أحمد – ظننتك سعيدا ...

المهرج – خذها قاعدة، كل من تظنهم سعداء ليسوا كذلك.

أحمد – لقد أفزعتني من عملك لن أفكر فيه مستقبلا.

المهرج – ومع ذلك ربما تكون مارسته من قبـل ... فـتش تحت ثيابك ربما كنت مهرجا وأنت لا تدري فـنحن جميعا نمارس التهريج والتسول والبطالة

أحمد – سيدي ... أنت العاقل الوحيد الذي قابلته فـي هـذه المدينة.

(ذهبية تدخل مع عدنان ... المهرج يركـع لهـا، فينحني لها أحمد، ويبدو عليه الانبهار طـول لقائـه معها ... عدنان يأخذ المهرج ويخرجان)

ذهبية – أنت الذي حملت رسالة الخاقان؟

أحمد – نعم

ذهبية – وما رأيك فيما جاء بها؟

أحمد – أنا حامل رسالة ... ولست مفتيا

ذهبية – اسمك؟

أحمد – أحمد الغلبان

ذهبية – أنت فقير؟

أحمد – لا أعتقد ... فقد لا أملك شيئا وأعيش هانئا ... وقد يؤرقني الطمع في قصر ولو امتلكته لتصدقت بـه لا عن كرم، ولكن ربما لأنني أكره القيود، والقصر قيد ... والمال قيد ... والحب قيد ...

ذهبية – هل جيش التتار قوي كما يقولون ...

أحمد – القوة تتوقف على وجهة النظر التي ننظـر منهـا، فالأسد أقوى من النمر والنمر أقوى من النملة والنملة أقوى من الأسد

ذهبية – كيف تراه من وجهة مدينتا؟

أحمد – قوي جدا.

ذهبية – لماذا ترى مدينتنا ضعيفة؟

أحمد – لأن قائدكم يثقل جسده بالثياب الأنيقة.

ذهبية – أنت ضد الأناقة

أحمد – أنا ضد الترف

ذهبية – حدثني عن الخاقان ...

أحمد – ككل الغزاة ترينه ملطخ اليدين بالـدم ... ينتصـر بضعف أعدائه، يكسب بالخداع، لا يؤرق ضـميره شيء ... قادر على أن يـزدرد أي مسـاحة مـن الأرض

المهرج – وتريد لي الزواج من رجل كهذا؟

أحمد – أنا أحمل رسالة فقط.

ذهبية – أنت لا تجيد الدفاع عن قضيتك ...

أحمد – مأساتي يا سيدتي أن ليس لي قضية، فلقد كشفت منذ صباي أن الكل باطل. الحياة ليست سوى لعبة. الذكي من يلعبها ويضحك بلا دموع ... قررت أن تكون لي دولتي الخاصة، أنا المواطن الوحيد فيها.

ذهبية – ألا ترى أنك أناني.

أحمد – بالضبط ... أنا أناني ومغرور، ولا مبالي.

أحمد – لماذا تحرص على إلصاق الصفات السيئة بنفسك؟

أحمد – لست كذلك يا سيدتي ... فأنا أيضا صادق ومحب للحياة وماهر جدا في استخدام القوس والفأس والسيف؟

ذهبية – ماذا تتوقع ردا منهم على رسالتك؟

أحمد – الإنسان لغز يصعب قراءته.

ذهبية – أنت لا تعرفنا.

أحمد – أنا أعرف الناس

ذهبية – لماذا يريدني أنا بالذات؟

أحمد – لأن الناس كلهم يحلمون بك ... العروس الجميلة، الثرية، العريقة، التي ترفض الخطاب، وتدفعهم عن بابها ...

ذهبية – لقد رفضتهم لأنني لم أر فيهم الرجل الذي حلمـت به.

أحمد – حتى الخاقان يرى أنه هذا الرجل

ذهبية – أنا لا أريد خاقانا ولا سلطانا ... أريد رجلا أحـس دون أن أراه أنه رجل ... أريد رجلا هامتـه فـوق السحاب، وقلبه يسير على الأرض، أريد رجلا صلبا أمام الشدة، لكنه أصلب أمام الرفاهية ألف مرة، أريد رجلا لا يقول إلا ما يفعل، ولا يفعل إلا ما يبغـي، ولا يبغي إلا الخير، أريد رجلا لا يحني رأسه ومـع ذلك فقلبه ينكسر أمام أهون الناس، لا يهم ما يملـك، المهم أن يتملكه الحب.

أحمد – تستطيعين أن تجدي ألف سلطان، وألف خاقان، قبل أن تجدي رجلا كهذا.

ذهبية – هل هذا كثير علي.

أحمد – بل قليل، لكنك تبحثين عن المستحيل في زمن أصبح الممكن فيه مستحيلا.

ذهبية – هل عرفت إجابتي أيها الرسول.

أحمد – عرفتها منذ أن دخلت ... فلدي – إلى جانب مواهبي العديدة – القدرة على قراءة الوجوه.

ذهبية – وما رأيك؟

أحمد – لا تفعلي إلا ما تؤمنين به.

ذهبية – حتى لو كان في ذلك قطع رأسك؟

أحمد – رأسي يا سيدتي لا يهم أحدا سواي ... وأنا أعرف كيف أدافع عنه جيدا ... فلا تخشي علي.

ذهبية – وداعا أيها الرسول

أحمد – إلى اللقاء يا سيدتي ... أنا لا أحب كلمات الوداع.

(عدنان والمهرج يدخلان. عدنان يأخذ أحمد ويخرجان).

ذهبية – إنه شاب غريب.

المهرج – أدركت ذلك عند لقائي به.

ذهبية – في كلماته سخرية تخفي مرارة ... ومرارة تخفى صدقا.

المهرج – لقد كرهته قبل أن أراه ... ولكنني عندما رأيته أحسست أنني أعرفه جيدا.

ذهبية – نعم ... نعم ... لقد شاهدته مرات عديدة من قبـل ... ولكن أين؟ عند مروري بالأسواق؟ بين الجموع التي أتت تهنئنا بالعيد؟ بين العاملين في البسـتان؟ لا أذكر.

المهرج – قد تكونين قد رأيته في كل هذه الأماكن يا مولاي.

(السلطان يدخل ضجرا ... وبعد لحظـات يجلـس على العرش).

السلطان – (لذهبية) أنت هنا ... لقد ضقت بكل شيء ... أصابني الأرق والسأم ... لا أبغض من اليأس، إنـه يفسد على الإنسان كل شيء (للمهرج) سـلني يـا عزة ولكن لا تعد إلى ألاعيبك المعروفة فليس أقسى على ملول من نكتة قديمة.

المهرج – سمعا وطاعة يا مولاي ...

(المهرج يبدأ لعبة الأقنعة ... ستة أقنعة للسـلطان والوزير والقائد والمنجم والشهبندر والأميرة، يرتدي كلا منها حسب الدور الذي يؤديه. وأحيانـا يحكـي دون أقنعة).

المهرج – يحكي أنه في سالف العصر والأوان، كانت هناك مدينة جميلة ... أسوارها منيعة، يفيض الخير فيهـا ... ولكنه لا شيء يدوم علـى حـال. فلقـد حسـد الآخرون المدينة على ما فيها وكان بيـنهم سـاحر شرير حول أهل المدينة إلى تماثيل لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم. وكان على رأس المدينة سـلطان عظـيم (قناع السلطان) ساءه ما أصاب مدينته ... ودعـا أطباء المدينة وحكماءها ليعـالجوا السـحر، وأتـى الحكماء من جميع البقاع (قناع الوزير) أنا الطبيب الماهر. أعظم أطباء الدنيا كلها. سأفك الطلسـم فـي ساعة زمانية بشرط واحد ... (قناع الأميـرة) لأن أهل المدينة هم حياتها نقبل كل شروطك أيها الحكيم ... (قناع الوزير) كلام عاقل ... أريدك يا سـت الكل أن تصبحي جارية لي (يرفع القناع) ترى لو خبر أهل المدينة – هل يقبلون الشرط؟ لا ندري فهم لا يـرون ... لا يسـمعون لا يتكلمـون (قنـاع الشهبندر) أنا أفضل أطبـاء المشـرق والمغـرب، سأقضي على السحر بإصـبعي ... فقـط ... فقـط

أريدكم ... أن تبيعوني أرواحكم ... تجـارتي بـلا حدود ... ولكن أهم ما فيها تجارة الأرواح (يرفـع القناع) الاختيار الآن ... بين تماثيـل بـلا أرواح، وبشر بلا أرواح. (قناع المنجم) سيعود الناس كما كانوا ... بعد خطوة أو خطوتين. يـوم أو يـومين. شهر أو شهرين ... الزهرة التقت بالمريخ فأنجبـت السحر ويظهر القمر فيتم الطلاق (قنـاع القائـد) سأقاتل السحر اللعين أنا المنتصر دائما ... انتصرت في كل المهرجانات ... أخذت كـل النياشـين فـي الاحتفالات سأقتلك أيها الساحر سأقتلك.

عدنان – (من الخارج) اقتلني.

(يدخل أحمد متقهقرا وفي يده ثلاثة سيوف ويتبعـه عدنان ... وأفضل أن يعرض المشهد تمثيلا خـارج قاعة العرش بشرط مهارة الممثلين الـذين يؤديـان دوري أحمد وعدنان في لعبة السيف).

عدنان – اقتلني ... اقتلني (السلطان يهب من مكانه).

السلطان – ماذا يحدث هنا؟

عدنان – أنصفني يا مولاي لقد ضاع شرفي.

السلطان – ماذا حدث أيها الضابط؟

عدنان – لقد بارزته فأسقط السيف من يدي ... توقعـت أن يطعنني به، لكنه لم يفعل ... أخـذت سـيفا ثانيـا فأسقطه من يدي وتكرر ما حدث – إنه شيطان.

السلطان – لقد أمرت بمنع المبارزات ... ألا تعرف ذلك؟

عدنان – دعه يقتلني يا مولاي، وإلا ضاع شرفي.

أحمد – أنا لا أقتل من أحب (يلقي لعدنان بالسـيف) خـذ سيفك أيها الضابط. إن شرف الإنسان لا يمس عندما يسقط السيف من يده. ولكنه يفقد شـرفه عنـدما لا يلتقط السيف مرة ثانية وثالثة، ويقاتل إلى النهاية.

(يظهر المنادي في الوقت الذي يتغير فيه المنظـر إلى غرفة الاستقبال في بيت كبير المنجمين)

المنادي – يا أهل المدينة الكرام ... إليكم هـذا البيـان ... (للجمهور) أمر مدهش حقا لقد وصل الولـد إلـى المدينة في الساعة العاشرة صباح يوم السبت. فكـان كل الناس يريدون قتله. لكنهم اكتشفوا أنه واحد منهم وفي أقل من يوم كسب إعجاب الجميع أنا أول مـن فتن به ولكن ما أدهشني حقا، وجعلني أؤمن بأن في

هذا الولد سحرا لا يقاوم، أن مولانا أبا الكلام برهان دعاه إلى بيته. وسيدنا برهان من الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم. وهو من أعدى أعـداء التتـار ... بماذا تفسرون هذا؟ أليس بمهارة هذا الولد ... ولكن لنعد إلى عملنا فقد كثرت في هذه الأيـام البيانـات الهامة. (يعود إلى العمل) يا أهل المدينة الكـرام، إليكم هذا البيان الهام ... (برهان وشوق يسـتقبلان أحمد).

برهان – لقد شرفت بيتنا يا سيدي.

شوق – إنه شاب وسيم يا أبي.

برهان – صمتا يا شوق ... أمامنا أمور هامـة (لأحمـد) تفضل يا سيدي (لشوق) ألا تذهبين لإعداد الطعـام ...

شوق – الجواري يقمن بإعداده.

برهان – تشرفين عليهم (لأحمد) ابنتي بارعة في كل شيء يا سيدي ... الجميع يريدون الزواج منها ... لكنني أقسمت ألا أزوجها إلا ممن يستحق ... فلـيس لـي سواها يرث ثروتي الكبيرة.

أحمد – يبدو يا سيدي أنك تريدني في أمر فلم لا تدخل إلـى الموضوع مباشرة.

برهان – اقتراح طيب يدل على أنك رجل ذكـي ... ولقـد لاحظت انك رجل واقعـي وسـط مجموعـة مـن الحالمين. هذا ليس ثرثرة بل دخول في الموضـوع. فأنا أريد أن أعقد معك اتفاقا.

أحمد – أي اتفاق؟

برهان – أي اتفاق

أحمد – لست أفهم.

برهان – لا شك أنك تعلم مدى نفوذي في المدينة. حقا أننـي لست السلطان. لكن كلمتي هي النافذة هنا، فالنـاس يؤمنون بما أقول، أنت تعرف سيطرة النجوم علـى العامة

أحمد – ثم ...

برهان – فكرت أنه بنفوذي المتواضع هذا قد أخدم مولانـا الخاقان، فأزوجه من ابنتي شوق، وأصير واليا لـه على المدينة.

شوق – لا يا أبي ... أنا لا أريد الزواج من الخاقـان أنـه أعور وأعرج.

برهان – اصمتي أنت

شوق – وعجوز أيضا ... زوجه من ذهبية كما يريد

برهان – هذه هي خطتي الثانية يا سيدي سأحقق له ما يريـد بنفوذي ثم ... أصير واليا.

شوق – وأتزوج أنا من رسول التتار.

أحمد – أنا؟

برهان – خطتـان أرى أن تختـار واحـدة منهمـا ... أو تعرضهما على مولانا الخاقان ليختار ما يشاء.

أحمد – غريب ...

برهان – وما الغريب يا سيدنا ...

أحمد – لقد كدت تقتلني عندما عرضت رسالة الخاقـان ... ظننتك تحب حقا ذهبية؟

برهان – إني والله أحبها ... ولقد طلبت مخلصا قتلـك ... ولكنني عندما عدت إلى البيت فكـرت. أن المدينـة محكوم عليها بالسقوط ... ولو دخلها تيمور لنك فإنه

سيتزوج ذهبية ويطيح برؤوسنا جميعـا ... فلـم لا يتزوجها، وتبقى رؤوسنا ...

أحمد – (ساخرا) قول حكيم ...

برهان – هل تحمل رسالتي إلى الخاقان.

أحمد – لا يا سيدي

برهان – (بدهشة) ولماذا؟

أحمد – لقد عملت رسولا مرة واحدة، وكفاني هذا لأن أتوب عن هذا العمل.

شوق – إذن ستتزوجني؟

برهان – اصمتي يا شوق.

شوق – يا أبي أريد أن أتزوج.

(أحمد يتهيأ للخروج)

برهان – إلى أين يا سيدي؟

أحمد – أهرب بجلدي يا سيدي، قبل أن تتزوجني ابنتك بالقوة ... وفي خططي ألا أتزوج قبل الستين من عمـري ...

(أحمد يخرج)

برهان – هذا الشاب خائن، ويجب أن يشنق ...

(المنادي يظهر في الوقت الذي ينسحب فيه برهـان وشوق).

المنادي – ونامت مدينتنا لأول مرة ليلة هادئة، والغريـب أن الناس لم ينتهزوا الفرصة ليستريحوا بل قضوا الليلة في سرور ورقص وغناء لنكن أذكى منهم ونستريح انتظارا لأحداث اليوم التالي.

(ستار)

الفصل الثاني

(يرفع الستار عن الغرفة التي يقيم فيها أحمد ... أحمد يدخل حاملا في يده حمامة.وفي أثره عدنان يتبعه ساخطا).

عدنان – لا يحق لك ذلك ... الصيد ممنوع في مـدينتنا ... هذا أمر سلطاني ...

أحمد – لقد أصبحت مزعجا يا صديقي ... أنت تطاردني في كل مكان ...

عدنان – أنا أؤدي واجبي ...

أحمد – أعرف ... وكنت سعيدا في البداية وأنا أراك تسـير ورائي في كل مكان، تمنيت لو أن أمي رأتني أسير وخلفي ضابط محترم مثلك ... لكنك بإلحاحـك يـا صاحبي جعلتني أكاد أكره الحياة، التي أحبها كثيـرا ...

عدنان – الصيد ممنوع. لابد من استخراج تصريح قبل ذلك ... ستعاقب عقابا شديدا.

أحمد – عقابي لنفسي سيكون أشد ... ضميري سيؤرقني ... فأنا لا أحب صيد الحمام، وأكره أن يصيد أحد هـذا الطائر الوديع ولو بتصريح.

عدنان – إذن فعلت ذلك لتغيظني.

أحمد – أنت مغتاظ يا صديقي دون مجهود مني ... لو كنت لماحا حقا، لأدركت أن هذه الحمامة ليست كغيرهـا من الحمام ... بقدر ما هي وادعة رقيقة ... هي في

حقيقتها شرسة ... وقاتلة ... ناعمة الملمس كالثعبان ... (يخرج رسالة من تحت جناحها) وهـذا هـو الدليل ...

عدنان – (بدهشة) ما هذا؟

أحمد – رسالة يا صاحبي ...

عدنان – مِن من؟ وإلى مَن؟

أحمد – لست أملك القدرة على معرفـة الغيـب ... لكننـي أستطيع أن أخمن (يفتح الرسالة ويقرأ) من خاقـان التتار تيمورلنك.

عدنان – إنها لك.

أحمد – لا أظن ذلك (يقرأ) إلى رجلنا في المدينـة راقـب الرسول أحمد الغلبان. (متحدثا) الذي هو صـديقك العزيز (يقرأ) إنه ماكر جدا (متحدثا) يقصـدني طبعا (يقرأ) إذا أحسست أنه يلعب بنا اقتله فـورا. يجب تسليم ذهبية خلال هذا الأسبوع .

عدنان – (بذهول) رجلهم؟ هل لهم رجال غيرك هنا.

أحمد – لست رجلهم يا هذا.

عدنان – لكن من هو؟

أحمد – (ساخرا) أعطني حريتي لأتنقل في المدينـة كمـا أشاء وأنا أعرفه تماما ...

(عدنان ينتزع منه الرسالة)

عدنان – لابد أن أسلمها إلى القائد فـورا ... بـل أسـلمها للسلطان نفسه ... ابق هنا حتى أعود ...

أحمد – أتتركني وحدي؟ ربما هربـت ... أو ربمـا قتلنـي رجلهم.

عدنان – لا تتحرك من هنا ... وسأعود لك فورا .

(عدنان يخرج ... أحمد يجلس واضعا قدميـه فـي وجه الداخل مباشرة ... يـدخل فيـروز اليـاقوتي، يتلفت حوله، ثم ينحني باحترام لأحمد).

فيروز – السلام على سيدنا سفير الخاقان الأعظم.

أحمد – (بدهشة) أنا؟

فيروز – لا ترفع صوتك يا مولانا، فلقد جئتـك وللحيطـان آذان ...

أحمد – وعيون أيضا ... ولكن ماذا تريد؟

فيروز – لا أجد وقتا للمقدمات، فأنا لا أحب أن يراني أحـد هنا ... أريد منك يا سيدي أن تبلغ رسالة إلى مولانا الخاقان ...

أحمد – رسالة منك أنت؟

فيروز – نعم مني منى أنا ... قل له إن عبده فيروز الياقوتي شهبندر التجار في سلطنة شعبان الغازي أعـزه الله، سيكون خادما مطيعا وشهبندر تجار أمينا في سلطنة تيمورلنك أعزه الله ... وأنني بقدر ما بـذلت مـن إخلاص ومحبة لمولانا السلطان شعبان، سأبذل لـه أيضا كل الإخلاص والمحبة.

أحمد – هذا وفاء نادر.

فيروز – أنا خدوم بطبعي يا سيدي ... وقل له أيضا أنني سأعمل على تزويجه من الأميرة ذهبية بكل طـاقتي ... فلا أغلى عندنا من الخاقـان ولا مـن ذهبيـة والطيبون للطيبات.

أحمد – حكيم أنت يا شهبندر التجار.

فيروز – وقل له بطريقتك اللبقة التي أعجب بها كثيرا –إلي عشرة قوافل خارج المدينة، فليسمح مولانا بـدخولها

... ليس من أجلي والله، ولكن من اجل أهل المدينة الجائعين العراة.

أحمد – أنت رجل ينكر ذاته من أجل الآخرين.

فيروز – هذا صحيح ... كيف عرفت؟

أحمد – هذه هي الفراسة.

فيروز – لم يخب ظني فيك ... أبلغ الخاقـان برسـالتي ... واذكرني عنده بالخير ... وأنا لا أنسى أحبابي أبدا.

أحمد – ظننتك تحب ذهبية.

فيروز – إني كذلك ... ألا ترى أنني أختار لها أفضل زوج ... خاقان المشرق والمغرب؟

أحمد – ربما لا تريد ... ولا أبوها ... ولا الناس.

فيروز – ينطحون الصخر ... فعريسنا أقوى قائـد عرفتـه الدنيا – أليس من الذكاء أن نقـدمها لـه شـاكرين، أفضل من أن يأخذها غصبا، ويأخذ معهـا أموالنـا وأرواحنا.

أحمد – ذكاؤك صعب على فهمه ... فأنا أتوهم أن الحب هو كل شيء ... أو لا شيء

فيروز – ليس من المهم أن تفهمني ... ليس مطلوبـا مـن السفراء أن يفهموا ... ما أريده منك أن تبلغ رسالتي إلى الخاقان كاملة غير منقوصة (بتودد) وبـالطبع سأراعيك.

أنا لا أنسى خدمات الأصدقاء.

أحمد – ضع النقط على الحروف.

فيروز – لك عندي مكافأة مجزية.

أحمد – أحب التحديد.

فيروز – سأغنيك إلى أحفاد أحفادك.

أحمد – الشرط نور ... وعلى فكرة أنا طماع.

فيروز – قوافلي خارج المدينة ... لو دخلتها في أمـان الله ... لك خمسة بالمائة ... سأقتسم معك إحداها.

أحمد – أنا لا أحب أنصاف الأشياء، أنما أتعامـل بالواحـد الصحيح.

فيروز – (حانقا) تريد " قافلة " قافلـة بأكملهـا؟ عشـرة بالمائة؟ هذا كثير ... الوزير نفسـه يقبـل خمسـة بالمائة.

أحمد – لا تصرخ فللجدران آذان ... وأيدي أيضا.

فيروز – لكن هذا كثير.

أحمد – الرشوة على قدر الراشي ... وأنت شهبندر تجار كل الممالك.

فيروز – (باسما) أنت طماع فعلا ... لكنني أحببتك كولدي تماما ... خذ قافلة بأكملها ... أظن هذا كافيا وأكثر ... والله لم أدفع في حياتي أكثر من خمسة بالمائة.

أحمد – هل رأيت أحدا يخسر قافلة دون اكتراث.

فيروز – دلني على مجنون يفعل هذا.

فيروز – أدلك على نفسي يا سيدي.

فيروز – (مذهولا) تقصد؟ تريد ... تعني أنك لن توصـل رسالتي ...

أحمد – ولا بمائة في المائة.

فيروز – أتعرف يا سيدي ماذا تعني قوافل فيروز اليـاقوتي ... حرير خراسـان، وقمـاش الكوفـة، ومماليـك الصقالبة، وجواري الترك، وعطور سمرقند، وفاكهة الشام، وحلي القاهرة، وتصاوير فارس.

أحمد – كفى ... لن أفعل حتى لو أضفت إليها عين الخاقـان الثانية.

فيروز – ولكن لماذا؟
أحمد – لأنني أحمق.
فيروز – (بعد تفكير) لك قافلتان. وإذا كنت طماعا يا هـذا ... فأنا بخيل ... وفي حياتي لم أرش إنسانا بعشرين بالمائة. والخاقان نفسه سأرشوه بأقل مما أخذت اقبل ما أعرضه عليك ولن أزيد درهما ...
أحمد – أنت تزيد من سروري يا سـيدي ... فكلمـا زادت الخسارة، كلما احلوت اللعبة.
فيروز – احذر أيها السـفير ... إذا لـم تسـتجب لطلبـي سأشكوك إلى الخاقان الأعظم.
أحمد – اذهب أنت والخاقان إلى الجحيم.
فيروز – (متراجعا) اخفض صوتك يا سيدي ... فللحيطان آذان. سأدعك الآن. نم جيدا وفكر في الأمـر ... لا تمل التفكير ... قافلتان لا تساويات رسالة فقط، بـل تساويات منصب الخاقان نفسه، قافلتان ... هذا كثير ...
(فيروز يخرج ... عدنان يدخل يتأمل أحمد كما لو كان يريد اكتشافه).
عدنان – من أنت؟

أحمد – (ممازحا) صعلوك لا يملك جـدارا، لكنـه ينـام مرتاحا إلى جوار أي جدار ... مشرد بـلا أرض، ومع ذلك فالعطر الذي يهز قلبه هو رائحـة الأرض ... ملعون في كل مكان، وموجود في كل مكان ... حالم في عصر أصبح الحلم فيه جريمة ... هذا أنا – يا صاحبي ...

عدنان – سأقتلك هذه المرة، وقسما بشرفي، إذا لـم أسـتطع فهمك.

أحمد – يا صاحبي ... أنا مثل كل الألغاز الكبيـرة، إذا لـم تفهمها في لحظة، لن تفهمها أبدا.

عدنان – الخاقان يهددك بالقتل، ومع ذلـك فأنـت رسـوله، ترفض قافلتين رشوة من الشهبندر وتقبل كيسا مـن الفضة لتوصيل رسالة المغول ... لماذا؟

أحمد – صدق الشهبندر، فللجدران آذان ... إنه رجل عملي لماح ... لكنه مثل كل الذين يلعبون بالمال ... ذكي العقل، غبي الفؤاد.

عدنان – إنه خائن ... متآمر ... يريـد أن يقضـي علـى المدينة، ماذا كان يحدث لو لم أسمعه صدفة.

أحمد – على فكرة أنا لست ضد من يسترقون السمع من وراء الأبواب، فليست لي أخلاق السادة

عدنان – كان سقاء يحمل الماء إلى بيتنا. كان رجلا طيبا ... أو هذا ما كان يقوله أبي. ولما جاء عام العطش. كان يبيعنا الماء بكل ما نملك حتى الثياب ... فلما جاء الشتاء ... باعنا ثيابنا ... واليوم يريد أن يبيعنا نحن أنفسنا ... سأقتله (يشهر سيفه).

أحمد – اغمد سيفك يا صاحبي، لست قادرا على قتل كل من يريدون بيعك .

عدنان – لابد أن يعرف السلطان حقيقة رجاله.

أحمد – (بدهشة مفتعلة) ألا يعرفها؟

عدنان – سأبلغ السلطان بكل شيء.

أحمد – سكان القصة العالمية، لا يصل إليهم إلا الصوت الأعلى، وصوت الشهبندر أعلى.

عدنان – لن أسكت على الشر ... وإذا لم يعتدل ميزان العدل سأقومه بنفسي.

(عدنان يخرج وأحمد يبتسم متهكما، يظهر المنادي وخلال حديثه يتغير المنظر إلى ردهة فـي قصـر السلطان).

المنادي – في يوم الأحد غرة شهر محرم.. مرت بمـدينتنا بعض الأحداث: انتهـز المغـول فرصـة الهدنـة، واقتربوا من المدينة فرسخا أو يزيـد ... أصـابت الشياطين شابا عرف بالفتوة، فظل يصرخ حتى جن ... توقف عن العمل الرجال الذين يصلحون السور الجنوبي وطالبوا بأجر إضـافي ... خنقـت امـرأة مشهورة بالصلاح زوجها دون سـبب ... اصـطاد الشاب الغريب حمامة ... أعلن كبير المنجمين أبـو الكلام برهان ظهور هلال شهر محرم فـي احتفـال كبير وظل الضابط عدنان والمـنجم منصـور مـن الضحى إلى صلاة العشاء في انتظار المثـول بـين يدي السلطان.

(ردهة القصر ... ومنصور وعدنان يسيران جيئة وذهابـا، متبرمين من طول الانتظار)

عدنان – يبدو أننا لن نستطيع مقابلته أبدا ...

منصور – أنا من أسرة معمرة ... لو عشت مائة عـام ... لن أترك هذا المكان قبل مقابلته

عدنان – إن الأمر خطير

منصور – لدى ما هو أخطر

عدنان – أنت لا تعرف ما عندي

منصور – وأنت لا تعرف ما عندي ... سأعرض عليه آلـة تنهي الحرب.

عدنان – (باهتمام) ماذا تقول؟

منصور – آلة من الحديد يوضع فيها البارود، ويطلق.

عدنان – بلاهة ... سينفجر البارود في الآلة .

منصور – سنغلفه بكرة من الحديد، فـلا ينفجـر إلا عنـد سقوطها ...

عدنان – مستحيل ...

منصور – هل تكتم السر؟

عدنان – (بكبرياء) أنا ضابط يا سيدي ...

منصور – لقد أعددت واحدة ... ليست متقنة جدا ... لكنهـا صالحة كما أتوهم.

عدنان – وجربتها ...

منصور – جئت لهذا ...

عدنان – وهذه الأوراق؟

منصور – إنها رسوم الآلة ...

عدنان – أرني إياها ...

(منصور وعدنان يفـردان الأوراق، ويبـدأن فـي دراستها باهتمام شديد، ومرح).

عدنان – آه ... لقد فعلتها يا ولد ...

منصور – كمل شيء محسوب بدقة ...

عدنان – لابد أن تكون المسافة هنا قدر شبر ...

منصور – بالضبط ... لاحظ هذه الشبكة ...

عدنان – من الحديد طبعا؟

منصور – أنا صنعتها من النحاس ...

عدنان – عفريت أنت يا ولد ... كم تحتاج من الرجال للآلة الواحدة؟

منصور – ثلاثة ...

عدنان – ثلاثة؟ أظن أن اثنين يكفيان ...

منصور – لابد من ثالث يعد كرات البارود.

(عدنان منفعل ... يفك قلادة عن عنقـه ويقـدمها لمنصور).

عدنان – خذ هذه يا ولد ...

منصور – ولماذا؟

عدنان – لأي سبب ... ألابد من سبب؟ ورثـت عـن أبـي شيئين: القلادة والسيف ... أقسمت ألا أفرط فيهما ما دمت حيا ... سأتحمل أثـم النكـوص عـن القسـم بشجاعة ... خذها لقد فرحت بها كثيرا، ويفرحنـي الآن أن تكون لك (يحتضـنه) خـذها ولا تنطـق

(يأتي برهان من الداخل متوجها إلى منصور).

برهان – كما قلت لك بالضبط ... خولني مولانا السـلطان دراسة مشروعك ... هات أوراقك واتبعني ...

(برهان يخرج ... عدنان مصدوم، ومنصور متوتر جدا ... يمسك الأوراق بقسوة ويكاد يمزقها، فينقذها عدنان).

عدنان – ماذا تفعل؟

منصور – طالما سخر مني ... أتريد أن أتبعه؟

عدنان – لا تتبعه ... ولا تمزقها.

منصور – ماذا أفعل بها؟ أزين بها جدار غرفتـي؟ أبيعهـا للتار؟ أتدفأ عليها في ليالي الشـتاء؟ أكتـب علـى ظهرها ما يشتريه أهل البيت من السوق، أصنع بهـا مراكب ورقية ألعب بها مع أطفال الأسرة؟ (يخرج منفعلا. ومن باب آخر يأتي الوزير).

بهاء – ماذا تريد يا بني؟

عدنان – أريد مقابلة السلطان يا سيدي ...

بهاء – بهذه البساطة ...

عدنان – إن الأمر خطير يا سيدي

بهاء – ولا تثق بقائدك؟

عدنان – بل أثق به يا سيدي ... لكنني لـم أجـده ... لقـد اختفى كما لو كانت الأرض قد ابتلعته.

بهاء – لابد أن يظهر ... أجل الأمر إلى حين لقائه ...

عدنان – لكن الأمر عاجل يا سيدي ...

بهاء – كاد صبري أن ينفد أيها الضابط ... قل مـا عنـدك وخلصني ...

عدنان – لا أقوله إلا للسلطان.

بهاء – تقوله للسلطان، وللقائد، ولا تقوله لي ... ألا تثق بي يا هذا؟

عدنان – بل أثق بك يا سيدي ...

بهاء – إما أن تتكلم وإما أن تذهب إلى عملك، عيب عليك أن تترك مكانك ونحن في هذه الظروف.

عدنان – إنها مؤامرة يا سيدي ...

بهاء – (باهتمام) مؤامرة؟ من يدبرها؟

عدنان – الشهبندر يا سيدي ...

بهاء – هكذا؟ ضد من؟

عدنان – ضد المدينة كلها ...

بهاء – وكيف؟

عدنان – لقد ذهب إلى رسول التتار، وعرض عليه أن يبلـغ رسالة منه إلى الخاقان ليكون من رجاله ...

بهاء – ابن الأفاعي ...

عدنان – وعرض رشوة هائلة على الرسول ...

بهاء – هكذا ... يريد أن يعملها السقا ... القربة بربع درهم ... ألا يكف أبدا عن البيع والشراء.

ولكن الرسول رفض الرشوة.

بهاء – رفضها؟ لماذا؟

عدنان – لا أدري يا سيدي ...

بهاء – إنها مؤامرة فعلا ... مؤامرة خطيرة، ويجب علينـا تكتمها ... اترك الأمر لي وإياك أن تبوح بما حدث لأحد ... ولا حتى لقائدك (يربت عليه بحنـان) آه لنا نحن المخلصين. (يتغير المنظر أثنـاء ظهـور المنادي إلى قاعة في قصر الوزير).

المنادي – يا أهل المدينة الكرام ... إليكم هذا البيان الهام ... نمت إلى مولانا بهاء الملك سيد الوزراء، الشـائعات التي يرددها العملاء ومن هم في خدمة الأعـداء ... من أن الخطر زال من الألف إلى الياء ... ولاحـظ سيدنا انصراف العامة إلى الكاس والطاس (بصوت خفيض) وأكمل القلقاس احذروا أيها الناس ... مـن شائعات الوسواس الخناس ... وإياكم وفقـد القـوة والباس والآن يعقد رجال السـلطان اجتماعـا فـي الأحراس (متحدثا) والأحراس كلمة بلا معنى لكن فرضها السجع.

(يخرج المنادي – في القاعة: الـوزير والشـهبندر وبرهان وعياش، والـوزير يتلفـت حولـه يتفقـد المكان).

عياش – ماذا تفعل؟

بهاء – الاحتياط واجب ...

عياش – هل تظن أن جواسيس التتار وصلوا إلى هنا؟

بهاء – يا سيد عياش نحن مقبلون على قرار هام.

عياش – خير إن شاء الله.

فيروز – وهل نجتمع إلا للخير؟ والله ما اجتمعنا إلا وكسـبنا شيئا ...

برهان – هدفنا الصالح العام ...

فيروز – وصالحنا في الصالح العام

عياش – يبدو أنكم اتفقتم على شيء ...

برهان – نعم تدارسنا الأمر جيدا ...

فيروز – وحسبنا المكاسب والخسارة ...

بهاء – واستشرنا ذوي الرأي ...

برهان – وتوكلنا على الله، فعقدنا العزم.

عياش – على ماذا؟

برهان – تكلم يا سيدي الوزير ...

بهاء – بل تكلم أنت يا برهان ... فأنت أبو الكلام.

برهان – قرار خطير كهذا لا يعلنه إلا رجل في وزن سيدنا الوزير.

عياش – يا ألطاف الله ... تكلموا ... فقد بدأت أستريب ...

بهاء – حاول أن تستوعب كلامي أيها القائد ... فكـر فيـه بتمعن. نحن نعرف أن صنعتك هي القتال لا التفكير ... ولكن حاول معنا مرة واحد ... ولتكن الأخيـرة ...

عياش – تكلم يا سيدي ...

بهاء – لقد فكرنا في أمر الحصار، وأمن المدينـة، ورسـالة الخاقان، وخير الناس، ورأينا أننا من الحصار فـي حصار – ولا منفذ إلا إذا أعملنا العقل ودبرنا الأمر.

عياش – حتى هنا الكلام واضح.

بهاء – رأينا ... ورأى ذوي الرأي معنا، أن المدينة محكوم عليها بالسقوط.

عياش – حاشا لله ... وأين سيفي ورمحي؟

برهان – الكلمات العنترية لن تنقذ حجرا واحد فـي سـور المدينة.

بهاء – بالحسابات الدقيقة فرصتنا في الصمود أمـام التتـار لأسبوع لا تتجاوز واحدا بالمائة.

عياش – هذه مغالطة ... حساباتي تقول شيئا آخر.

فيروز – ارفع النسبة إلى خمسة بالمائة، ولا تظلم الرجل يا مولاي الوزير.

بهاء – حساباتنا دقيقة أيها القائد ... وهي تؤكـد اسـتحالة صمودنا لأسبوعين.

عياش – غير صحيح ... أستطيع الصمود شهرا كاملا.

برهان – لنقل شهرين ... ثم؟

عياش – ربما أصابهم اليأس.

فيروز – طالما يطمعون في خيراتنا، لن يفقدوا الأمل.

عياش – قد يأتينا مدد من الخارج.

برهان – حلم إبليس في الجنة.

فيروز – كن ذكيا يا عياش وافهم الموقف ... التيار أقـوى منا.

برهان – هذا لا يقلل من قدرك.

فيروز – والله إن عياش يستطيع سحق تيمورلنك بضربة من يده.

بهاء – لكنهم مائة ألف جندي ... هزموا جيوشا أقـوى ... واستولوا على مدن أكثر منعة. لقد قتلوا سبعين ألفا، صنعوا من جماجمهم هرما، لا طاقة لنا بهم.

فيروز – لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

بهاء – أمامنا طريقان: الأول أن نركـب رؤوسـنا ونقاتـل فلتسقط المدينة ويغتصب الخاقان ذهبية بلا زواج.

عياش – حياتي قبل هذا ...

بهاء – طبعا ... حياتك ستكون قبل هذا، حياتنا كملنا ... لن يترك تيمورلنك واحدا منا.

برهان – لن يقتلنا فقط ... فهو أخصائي فـي التعـذيب ... كسر للعمود الفقري ويظل الإنسان يصرخ ألما أياما قبل أن يموت ... هذه ميتة القواد.

فيروز – وبالطبع سيصادر أموالنا.

برهان – الطريق الثاني يا عيـاش هـو أن نقبـل عـرض الخاقان.

عياش – مستحيل ... هذا جنون.

بهاء – بل هو عين العقل.

برهان – إنه عرض كريم أعمتنا عنه الحماسة.

بهاء – رجل يريد السلام.
فيروز – وزواج نفخر به.
بهاء – لقد اتفقنا على أن السلام أسلم.
برهان – واتفق معنا ذوو الرأي من أهل المدينة على هذا.
فيروز – كفانا فخرا أننا سنصاهر سيد الدنيا ...
بهاء – لقد اتفقنا على المصاهرة، فإذا لم تكن موافقا عليها، سنضطر آسفين لأن نأتي بقائد جديد، يتفق معنا ... ليس هذا اقتراحي. لكننا مضطرون له ... والحجة موجودة: أنك فشلت أمام التتار.
عياش – أمحكوم على بالعار ولا أستطيع دفعه ... هل أنفقت كل هذه السنوات أحلم براية عالية، واسقط راكعا أمام أول غاز؟ أأكون شهيد حرب لم أخضها؟ لماذا أجد ظهري مكشوفا دائما؟ لماذا أجد نظراتي تسقط خزيا، كلما رفعت رأسي؟ اللعنة عليكم، وعلى. اللعنة على كل طفل وامرأة. اللعنة على السيف والرمح والدرع وقصائد عنترة. اللعنة على الكبرياء والشرف والأمل. السيف في يد الجندي، والجندي مكبل بالخيوط، والخيوط في أيدي السادة. لا رأى للجندي،

عليه فقط أن يسلم سيفه كلما ترهل السادة. وأنا أسلم سيفي (يخرج سيفه ويتأمله) ظللت متشـوقا إلـى النصر حتى علاك الصدأ (يقدم لهم السيف) هـاكم سيفي. احرصوا عليه، فقد ثقلته المـرارة. (يلقـي بالسيف) أمستحيل حتى الموت بشرف؟ كما تريدون يا سادة. أنا أركع مثلكم ... ذليلا، خانعـا، طائعـا (ينهار باكيا على ركبتيه) أنا أركع يا سادة. أركع.

بهاء – نحن آسفون ... لكنه ليس قرارنا وحدنا.

عياش – (نادبا) قبل أن أبدأ، انتهيت، قبل أن أبدأ انتهيت.

برهان – تماسك يا رجل.

عياش – رجل؟ الرجولة من نصيب بغي تزنـي بـإخلاص. لست رجلا ولا أنتم.

بهاء – هذا كثير.

برهان – ماذا نقول للناس لو عرفوا أن قائدهم فقد أعصـابه وانهار هكذا.

فيروز – إذا كان هذا ما تفعله في السلم، فماذا كنت سـتفعل في الحرب؟

عياش – (نادبا) ستظل النياشين من الصفيح والجواد لزينة المواكب والسيف لقطع البطيخ ... لقد انتهيت.

(فيروز يقترب من عياش في مودة)

فيروز – كلنا نقدر موقفك ... ولكن قدر أنت أيضا موقفنا إننا لن نسمح لقائد أن يبني مجدا شخصيا على حساب صالح المدينة ... (فيروز يربت على كتف عياش، فيدفع يده في عنف).

عياش – لا أحب أن يعزيني أحد (يقف) هل اتفقتم على هذا الرأي؟

فيروز – نعم.

عياش – وهذا قرار الجميع؟

بهاء – نعم.

عياش – ولا رجعة فيه.,

برهان – مستحيل ...

عياش – إذن ملعون من لا يقدم لي كأسا. (الوزير يتقدم ليأتي له بكأس. عياش يتقدم وينتزع الزجاجة ليشرب منها).

عياش – دعوني أشرب لأغرق ضميري.

فيروز – تصنع خيرا يا سيدي ... فلا أفضل لصالح الإنسان من إغراق ضميره.

عياش – إنه يغرق يا سيدي ... يغرق ...

بهاء – تأكد يا عياش أننا احتجنا لجهد كبير حتى نغرق ضمائرنا.

عياش – إذن أنتم سبب أزمة الخمور في المدينة؟

فيروز – لقد فكرنا في كل شيء، إلا شيئا واحدا: من يضع الجرس في عنق القط؟

بهاء – ماذا تعني؟

فيروز – من يوصل رسالتنا إلى تيمورلنك؟

برهان – احذروا من رسوله ... إنه مجنون.

فيروز – لقد طردني رغم أنني عرضت عليه قافلتين.

عياش – أفعل هذا حقا؟ إنه لعين، ما زال ضميره طافيا، أرسلوا له زجاجة معتقة ...

برهان – لنبحث عن شخص آخر.

فيروز – وأين نجده؟

برهان – أصعب أن نجد رجلا أمينا، كتوما، شجاعا؟

عياش – لو وجدت هذا الرجل، وعرضت عليه أمرا كهـذا، سيقتلك.

بهاء – لا تتعبوا أنفسكم بالبحث عن رسول ... هنـاك مـن سيتولى الأمر عنا.

فيروز – من؟

بهاء – السلطان.

برهان – مستحيل.

عياش – أيوافق السلطان حقا على زواج الأميرة من الخاقان.

بهاء – ولم لا؟ سيوافق ... وهل هناك ما هـو أغلـى مـن السلطنة.

برهان – أنت تقامر برقابنا جميعا.

بهاء – دعوا الأمر لي ... رقابكم أيها السادة في يد أمينة.

(يتغير المنظر إلى منظر السوق. في الوقت الـذي يظهر فيه المنادي).

المنادي – (مناديا) يا أهل المدينة الكرام، إليكم هذا البيـان الهام (متحدثا) يبدو أن رأسي حدث له شـيء مـا اليوم (مناديا) من الوزير بهاء الملك إليكم جميعـا ... نظرا لأن الناس تعبوا تعبا شنيعا، فقد تقرر إقامة

الأفراح سريعا (متحدثا) أليس هذا نقـيض البيـان السابق؟ أنا اليوم مصاب بحالـة غبـاء (مناديـا) واليوم تحتفل البلاد بذكرى الزواج الثالث للسـلطان رمضان بن حماد، الجد السابع عشر للسلطان شعبان فارس الفرسان (متحدثا) إنها مناسبة سعيدة حقـا، ولكن ما الذي ذكرهم بها ... لقد مر عليها حـوالي خمسة قرون ... ولم يحتفل بهـا أحـد مـن قبـل (مناديا) وبهذه المناسبة السعيدة، يهدي الوزير إلى الجميع الهدايا العديدة، مكيال من القمح، وآخر مـن الشعير ... ونصف مكيال للطفل الصـغير ... أدام الله عز الوزير (متحدثا) لماذا كل هذا؟ ولكن ماذا يهمني ... من يتزوج أمي سأقول له يا عمـي. لـن يفوتني الاشتراك في العيد. (المنادي يقفز إلى خشبة المسرح حيث الاحتفال بالعيـد. بـين الموجـودين: شوق، والمهرج).

شوق – (للمهرج) أمتعنا بألاعيبك يا عزة.

المهرج – مهرج السلطان ... سلطان المهرجين.

شوق – لا تتدلل، فالعشرة مثلك بدرهم.

المهرج – بعض الناس أرخص.

شوق – إذا لم تتأدب ضيعت لك عينك، حتى تصبح أعـور مثل تيمورلنك.

المهرج – وأنت إذا لم تصمتي تركتك بعينيك مثل أمي.

المنادي – صلوا على النبي ... واجعلوا ليلتنا أنسا (منصور يدخل ... يمسك بيد شوق بعنف).

منصور – ماذا تفعلين هنا؟

شوق – دع يدي ... لماذا تمسكني هكذا؟ هل أنت من أهلي؟

المهرج – اتركها يا منصور تشارك الناس أفراحهم ...

منصور – أفراحهم؟

المنادي – اليوم نحتفل احتفالا كبيرا ...

منصور – لماذا؟

المهرج – لا يهم ... يقولون إننا شعب يحـب المـرح ... وهي كذبة غريبة ... فلم أر واحدا حتى الآن يعرف كيف يضحك ...

المنادي – لا تفسد بهجتنا أيها الشاب ...

منصور – (لشوق) عودي إلى البيت.

المنادي – لماذا؟ حتى أضع بوزي في بوز مربيتي العجوز. أريد أن أعيش وأنطلق .

المهرج – (المهرج يلبس قناع الوزير).
أمر ممن لا أعرف اسـمه إلـى مـن لا أعـرف أسماءهم: احتفلوا ... لا تحتفلوا. امرحوا ... احزنوا ... نفذوا الأوامر يا كلاب.

شوق – أنه الوزير ... لقد عرفته.

المنادي – لعبة حلوة.

منصور – هيا يا شوق ...

شوق – الوزير يريد أن يتزوجني ...

منصور – شوق ...

شوق – وأنت ... وآخرون ... ولكن لا أحد يفعلها ...

منصور – عيب هذا الكلام هنا ... هيا معي.

شوق – لا يا حبيبي ... أنت تريد استدراجي إلـى شـارع مظلم ... وهل لا أعرفك؟

المنادي – في حياتي لم أرها إلا في الشوارع المظلمة.

المهرج – (قناع كبير المنجمين) اركعوا يا ملاعين ... يا خطاة ... يا أنجاس ...

شوق – إنه أبي ...

المنادي – بنت حلال ... لقد عرفت أباها.

(يدخل برهان ويصطدم بالمهرج الذي لا يراه مـن وراء القناع)

المهرج – اركع يا رجل ...

(برهان يمسك بالمهرج في غضـب ... المهـرج يرفع القناع بدهشة)

المهرج – سيدي كبير كبراء المنجمين.

برهان – هكذا ...

المهرج – سيدي ...

برهان – (لشوق في عنف) ماذا تفعلين هنا؟

شوق – اتفرج يا أبي مثل بقية الخلق.

المنادي – الليلة عيد يا مولانا ... (يدخل أحمد وعدنان).

برهان – سأجعل الخلق يتفرجون عليكم ...

أحمد – أتريد يا صاحبي أن تحرمنا من بهجة العيد.

عدنان – ستذهب بي إلى المشنقة ... وتنجو أنت كالعادة.

برهان – (لشوق) انصرفي من هنا (لمنصـور) وأنـت كيف تسمح بحدوث شيء مثل هذا.

أحمد – أنا لست في خدمتك ... أنا مفصول ومستقيل.

برهان – (للمهرج) نهايتك على يدي يا عزة ... (برهان يشير لعدنان بالاقتراب).

عدنان – نعم يا سيدي.

برهان – خذ هذا الولد إلى السجن (مشيرا إلى المهرج).

المنادي – أحمق من يسجن مهرج السلطان.

عدنان – ليست هذه مهمتي يا سيدي ... مهمتي حراسة هذا الشاب.

برهان – ما شاء الله ... وأنت كفؤ لها ... ولـذلك تتركـه يتجسس علينا في الشوارع.

عدنان – إنه ليس جاسوسا.

المنادي – سيحولون هزلنا إلى جريمة سياسية.

شوق – إنه وسيم يا أبي.

برهان – اخرسي ... تعالي معي (يجذبها وراءه في عنف) وأنتم جميعا ستنالون العقاب. امرحوا، وسترون نهاية مرحكم ...

(برهان يخرج والمهرج يلبس قناعـه ويقلـده فـي طريقة مشيه).

المنادي – أنا أعرفه جيدا ... سيرسل لنا جنودا ويقبضـون علينا.

منصور – لننصرف من هنا.

المنادي – أعرف مكانا أفضل.

عدنان – هيا بنا يا أحمد.

المنادي – لنتحرك ...

المهرج – أنا ... وأنتم ... أكسل من أن نترك هذا المكـان ...

المنادي – أنت في حماية السلطان.

المهرج – (بقناع السلطان) بل أنا سلطان هذا الزمان.

المنادي – احذر هذه اللعبة يا مجنون.

المهرج – (بالقناع) سلوني يا شباب.

المنادي – دعني أقتسم معك هذه اللعبة .

المهرج – اقتله يا سياف .

المنادي – أعطني هذا القناع.

المهرج – ابعد يا مهرج (المنادي يطارده حتى ينتزع منـه قناع الشهبندر ويلعبان وفجأة يدخل الجنود يحيطـون بهم جميعا)

عدنان – لم أقل لكم لا داعي لهذه اللعبة.

المنادي – ليلتنا أنس إن شاء الله (يتغير المنظر إلى غرفـة سجن فيها: عـدنان وأحمـد والمهـرج ومنصـور والمنادي الذي يتحدث للجمهور). وحق من جمعنـا من غير ميعاد، كانت ليلة ولا كل الليالي ... يكفـي أننا ضحكنا فيها حتى الصباح ... بل يكفي أنه لـم يكن فيها بيان واحد ... ألم أكن محبوسا؟ لـم أكـن أتصور أن طعام السجن رديء هكذا ... أتـوا لنـا بفاصوليا كأنها حبات حجر ... وبدلا من أن نأكلهـا لعبنا بها. أتعرفون من الذي كسـب؟ (المسـاجين الخمسة يلعبون لعبة الحظ أحمد يكسب).

عدنان – (ساخطا) هذا هو الدور الثلاثون وأنـت تكسـب (أحمد يلعب).

أحمد – أكسب مرة أخرى.

منصور – حظك من نار.

المهرج – حظه كحظ الغواني.

المنادي – لقد انتهت آخر حبة فاصوليا معي.

المهرج – وأنا أيضا ... قضى هذا الشاب على ثروتي منها ...

منصور – لنلعب مرة أخرى ... (أحمد يلعب ويكسب).

منصور – يا للحظ ضاعت كل الفاصوليا.

أحمد – ما رأيكم أن ننام قليلا.

المهرج – هذه أول ليلة أنام فيها مفلسا.

عدنان – فكرة طيبة ... هيا ننام (يبدأون النوم جميعـا مـا عدا منصور الذي يظل ساهرا).

منصور – إنني أخسر دائما ... عاجز باستمرار ... لا قيمة لي ... لا قيمة لحياتي ليس أمامي سوى الموت ... (ينزل من السقف حبل مشنقة).

منصور – الموت هو الحل الوحيد ... ستبكي أمي كثيرا ... ولكن أية حياة هذه التي أعيشـها ... أتـرك الآلـة خرساء، ولا أستطيع شيئا ... لا حل سوى المـوت (منصور يحاول وضع رأسه في المشـنقة لكنـه لا يطولها).

أحمد – يلزمك كرسي ...

منصور – هل أنت مستيقظ؟

أحمد – كان يجب أن يكون الحبل أكثر انخفاضا.

منصور – ألا تقول شيئا؟

أحمد – هل تتوقع مني أن أطلب منك الرحمة بشبابك؟

منصور– إن أحدا لا يريد النظر في أوراقي.

أحمد – لا أرى هذا سببا كافيا للموت ... ومع ذلـك أنـت وشأنك ... حاول أن تنزل الحبل قليلا تصبح علـى خير ...

منصور – ستنام؟

أحمد – ولم لا؟

منصور – أنت تسخر مني يا سيدي.

أحمد – أنت تستحق ذلك ... فأنت لا تجيد فعل شيء حتـى قتل نفسك.

منصور – ألا تظن أن ما أفعله جبن ...

أحمد – على العكس أنا أرى التضحية بالحياة قمة الشـجاعة ... هيا افعلها.

منصور – (منهارا) لست أدري ما أفعل ...

أحمد – افعل أي شيء ... المهم أن تفعل.

منصور – أنت لا تفهمني ...

أحمد – أنا لا أفهم أحدا هنا، ولا أحد يفهمني ... لكنني أكره البكاء والشكوى إذا ما أردت شيئا، أفعله، على فكرة أنت لن تقتل نفسك، المنتحرون لا يناقشون. تصـبح

على خير. واترك هذه المشنقة الظريفـة. منظرهـا الجميل، سيساعدني على النوم.

(أحمد ينام ... منصور يجلس منهـارا ... البـاب يفتح ويدخل الوزير ومعه بعض الجنود).

بهاء – استيقظوا ... أين عزة؟

المهرج – لا أعرف كيف أنام في هذه البلد ...

بهاء – هيا ... اخرج فورا ... إن السلطان في حاجة إليك.

المنادي – تخرج أيها المهرج في حمى السلطان.

بهاء – (لأحمد وعدنان) وأنتما أيضا اخرجا ...

المنادي – الرسول يخرج في حمى الخاقان، والضابط يخرج في حمى الرسول.

بهاء – أما أنتما فستجلدان حتى تعترفا أن أباكما من فصـيلة الحمير.

المنادي – أنا شخصيا معترف دون جلد.

بهاء – أنت بالذات ستجلد حتى يأتي أبوك ويعترف بنفسه أنه حمار.

المنادي – نهار أسود، لكن أبي مات ...

بهاء – ليست هذه مشكلتي. خذوه ...

(للجنود يأخذون المنادي).

منصور – سيدي الوزير ... أنا متقبل للجلد، بـل وللشـنق أيضا، ولكن اسمعني أولا.

بهاء – أسمعك؟ لعلك تغني.

منصور – يا سيدي لقد ابتكرت آلة جديدة.

بهاء – لا تضيع وقتي ...

منصور – يا سيدي إن برهان لا يريد أن يسمعني (صـوت صراخ المنادي وهو يجلد).

بهاء – هذا هو الصوت الذي أريد سماعه.

منصور – إذا لم تسمعني قتلت نفسي.

بهاء – خير تفعل.

منصور – سأقتلك.

بهاء – امسكوا بهذا المجنون، واجلدوه حتى يقر أن أباه وجد جده من البغال (الجنود يأخذون منصور ... يتغيـر المنظر إلى قاعة العرش ... يظهر المنـادي أثنـاء التغيير وهو يئن من الألم).

المنادي – آه يا ظهري ... آه ... يا أهل المدينة الكرام ... آه ... إليكم هذا البيان الهام ... من وزيرنـا سـيد

الدنيا وزين الشباب، الزموا الدور واغلقوا الأبـواب ولا تخرجوا مهما كانت الأسـباب ... آه ... ومـن خرج تعرض للعقاب ... واسألوني أنا عن العقـاب ... ستعضون في الأرض كالكلاب ... وتمضـغون التراب ... أنا فعلتها أيها الأحباب ... من فقد أبـاه، إياه أن يخرج إياه ... آه يا ظهـري آه ... (قاعـة العرش ذهبية يدخل الوزير).

بهاء – مولاتي الأميرة ... أين مولاي السلطان؟

ذهبية – في جناحه.

بهاء – أريده في أمر عاجل.

ذهبية – سيأتي حالا ... هنا سيعقد مجلس البلاط.

بهاء – أريده قبل ذلك.

ذهبية – أهو أمر خطير؟

بهاء – نعم.

ذهبية – ما هو؟

بهاء – بعض شئون الدولة.

ذهبية – هل لي أن أعرفها.

بهاء – ستعرفينها في حينها.

ذهبية – لم تكن تخفي شيئا عني.

بهاء – ولست أفعل ...

ذهبية – إذن قل لي ...

بهاء – أنا متعجل يا مولاتي.

ذهبية – أصبحت تكتم عني الأسرار يا بهاء الملك.

بهاء – لا يا مولاتي.

ذهبية – أنت تكذب ... لقد تغيرت.

بهاء – بل تغير الزمن.

ذهبية – مسكين الزمن نلقي بكل شيء على كاهله.

بهاء – لقد كبرنا.

ذهبية – أحقا؟ إنني أرى من حولي يصغرون.

بهاء – آسف ... أنا في عجلة من أمري ... يجب أن أذهب إلى مولاي السلطان الآن (يسـير فتوقفـه كلمـات ذهبية).

ذهبية – بهاء الملك.

بهاء – أمر مولاتي ...

ذهبية – ألم تنس شيئا.

بهاء – لست أفهم.

ذهبية – إنها المرة الوحيدة التي قابلتني فيهـا، ولـم تبثنـي غرامك ...

بهاء – أنت تدرين ما في قلبي يا مولاتي.

ذهبية – لقد تغيرت.

بهاء – حبي كما هو.

ذهبية – صوتك يفتقد إلى رنة الصدق ...

بهاء – أنت تعرفين أننا جميعا نحبك ...

ذهبية – وأنت؟

بهاء – أنا أكثرهم حبا لك ...

ذهبية – كان ذلك فيما مضى.

بهاء – بل أحبك أكثر.

ذهبية – لقد صرت أستجديك كلمات الحب.

(منفعلا) وماذا تتوقعين؟ لقد رددت علـى سـمعك كلمات الحب ألف مرة احترق قلبي بهواك ... فماذا فعلت؟ لا شيء – صغرت خدك، وسعدت بتحطـيم قلبي.

ذهبية – الحب عطاء.

بهاء – ولقد أعطيت ... وأعطيت ... وأعطيت ... ولم أحظ ولا حتى بكلمة.

ذهبية – أنت لم تعط غير الكلمات.

بهاء – حبي أسطع من أن لا يرى.

ذهبية – برهن عليه.

بهاء – حبي لا يمتحن.

ذهبية – برهن عليه إن كنت صادقا.

بهاء – مولاتي ... أنت تعطلينني عن أعمال الدولة ... يجب أن أقابل السلطان الآن. (بهاء يخرج. ذهبية تنتظـر لحظة ثم تخرج ... من الباب الآخر يدخل المنـادي والمهرج وأحمد وعدنان).

المنادي – أنا عظامي تئن.

المهرج – احك لنا معجزة قيام أبيك من قبره.

المنادي – واحد من أولاد الحلال جاء وزعم أنه أبي. وأقـر أنه حمار، فتركوني وجلدوه.

المهرج – صاحبنا منصور ناله أيضا ما لا يستحقه ... لولا رشوتي للجلاد لكان يضرب حتى الآن.

عدنان – ألا ترون هذه الليلة جعلتنا أصدقاء.

أحمد – متى يبدأ مجلس البلاط ... لقد ضقت بهذه اللعبة ...

عدنان – ماذا تتوقع؟ لن يجرؤوا على قبول عرض هذا هـو المستحيل بعينه.

المنادي – إنهم مستعدون لأي شيء. إلا هذا.

المهرج – لا تتسرعوا.

أحمد – الخاقان.

المهرج – القرار الأخير للسلطان، وهو يحـب ابنتـه حـب العبادة.

أحمد – لا يكفي أن تحب ... المهم كيف تحب.

عدنان – ألم تحب أبدا.

أحمد – ألا تراني إنسانا.

المهرج – حدثنا عن ذلك.

أحمد – لا تكن سخيفا.

المنادي – لنتسل بقصتك حتى ينعقد المجلس ...

أحمد – قصتي ليست للتسلية.

عدنان – لابد أنه حب عظيم ...

أحمد – أنا لا أحب إلا حبا عظيما (تـدخل ذهبيـة دون أن يحس بها أحد) .

عدنان – هل هي جميلة؟

أحمد – كأنها زهرة برية نبتت من الأبد، وإلى الأبد تعيش.

المنادي – وجهها؟

أحمد – نورانية القسمات كأنها نـور الحقيقـة فـي ظلمـة عصرنا.

المهرج – عيناها؟

أحمد – فيهما ظمأ إلى الخير.

عدنان – قوامها؟

أحمد – كأنه كبرياء الكلمة الجريحة.

المنادي – بشرتها ناعمة؟

أحمد – كالحرير ... لكنها أيضا صلبة كالحديد.

عدنان – أية امرأة هذه؟

أحمد – لا تسأل كثيرا ...

عدنان – كأنني أعرفها.

المهرج – امرأة كهذه لابد أن يعرفها كل الناس.

المنادي – وتحبك؟

أحمد – لم اسأل نفسي هذا السؤال ... فأنا أعشق للعشق يـا سادة.

المنادي – ألا تقل لنا من هي؟ (ينتبهون إلى وجود ذهبيـة فينحنون لها احتراما).

المهرج – مولاتي (يتفرقون: المنادي يقف عند البـاب ... المهرج خارج خشبة المسرح. أحمد ينظر إلى ذهبية وهي تنظر إليه ... خلفه يقف عدنان في حراسته).

المنادي – مولاي السلطان شعبان الغازي حامي المشـرقين والمغربين (يدخل السلطان مكفهرا يتجنب النظر إلى ذهبية ... ووراءه الوزير ثم يدخل برهان وعيـاش وفيروز ... ويسود الصمت المتوتر للحظات).

بهاء – اليوم تنتهي سفارة أحمد الغلبان رسول التتار. ونحن جميعا في انتظار قراركم الحكيم يا مولاي السلطان.

السلطان – نعم ... نعم ... لم يبق سوى ساعة ...

بهاء – بعدها يدك المغول المدينة إذا لم ترد على رسالتهم.

فيروز – حمى الله مدينتنا من كل شر.

السلطان – صحيح ... يجب أن نعلن قرارنا الآن ... آه ... قرارنا.

برهان – يبدو أن مولاي السلطان متعب.

السلطان – لا ... لا ... لست كذلك ... اقترب أيها الرسول لتسمع رسالتي (أحمد يقترب).

السلطان – أبلغ الخاقان أننا نشكر مسعاه للسلام، وأننا قـدرنا رغبته الكريمة فـي مصـاهرتنا (ذهبيـة تجلـس منهارة) لا يا ابنتي ... لا تفعلي هذا ... يجـب أن تكوني سعيدة ... أي بنت تطير من الفرحة إذا زفت إلى الخاقان ... ستصيرين ملكة على الدنيا كلها ... وسنصبح نحن من جملة رعاياك. (لأحمـد) هـل وعيت الرسالة جيدا أيها الشاب؟

برهان – (يقدم له رسالة) وهذه رسـالة خطيـة ممهـورة بخاتم مولانا السلطان زيادة في التأكيد.

أحمد – كنت أريد أن أقول ...

بهاء – (مقاطعا) احمل الرسالة كما هي.

فيروز – ليس على الرسول إلا البلاغ.

أحمد – لكنني لست رسولا محترفا ... أنا مازلت في مرحلة الهواية.

برهان – لسنا في موقف يسمح بالهزل ...

أحمد – في حياتي لم أكن جادا مثلي أنـا الآن ... مـولاي السلطان ... أنا أعرف أن طلبي هذا يأتي في وقـت غير مناسب ... لكنني لم أجد أبدا وقتا مناسـبا أنـا أطلب يد الأميرة.

السلطان – مجنون.

بهاء – أحمق.

عياش – هكذا.

برهان – اضربوا عنقه، وأبلغوا الخاقان.

فيروز – هذا زمن اختلت فيه كل الموازين.

أحمد – أعطوني فرصة كما أعطيتم للخاقان.

السلطان – ليس لدي وقت أضيعه مع المجانين.

عياش – هذا الولد لا يقتل إلا بالنعال.

بهاء – يا دنيء، بنت السلطان لا يتزوجهـا إلا رجـل فـي مقامها.

أحمد – هذه وجهات نظر ... ومع ذلك فأمي ترى أن مقامي كبير.

عياش ـ اقتلوه وأريحونا.

برهان – وماذا ستدفع لها مهرا يا صعلوك؟

فيروز – ما تطلبه ... أنا لا أملك شيئا، لكنني قادر على أن آتي لها بما تريد.

برهان – يكفيه ثقل دمه لرفضه.

السلطان – يا بني ليس قلبي خاليا لهذه الترهات، وإلا لكنـت ضحكت عليك أكثر مما أضحك على مهرجـي ... ماذا ستفعل مع الخاقان إذا تحقق ما تريده؟

أحمد – سأحميها منه.

عياش – هكذا؟ وحدك؟

أحمد – إلا إذا رأيتم أنه من واجبكم مـؤازرة صـهركم ... وأظن أن الشهامة تفرض عليكم ذلك.

بهاء – أرى إيداعه مستشفى المجانين.

عياش – إنهم مائة ألف يا أبله.

أحمد – بل ينقصون سبعة، قتلتهم بفأسي.

عياش – هذا الشاب يريد دفعي إلى الجنون.

السلطان – إذا كنت غير قادر على حمـل الرسـالة، بعثنـا برسول آخر ...

برهان – لقد أشرت منذ ثلاثة أيام بذبحه، ولقد تأخرنـا فـي ذلك كثيرا.

أحمد – تتكلمون جميعا ... ولكن لم تسألوا الأميرة؟

بهاء – نسألها عنك أنت يا صعلوك.

برهان – لقد رفضت من هم أفضل منا.

بهاء – وأعظم.

فيروز – وأغني.

أحمد – أعطوني فرصة ...

فيروز – وهل نعطي فرصة للصوص؟

أحمد – (للأميرة) سيدتي، أنا أعرض عليـك الـزواج ولا أحلم أن توافقي ... ولا أتصور أن توافقي ... ولكنه الحل الوحيد لمواجهة الموقف ... سأكون خادما لك ... ولا أكثر من هذا.

ذهبية – قبلت.

السلطان – ماذا؟

ذهبية – قبلت عرض هذا الشاب.

برهان – هذا يوم لا يعلم إلا الله نهايته.

السلطان – لا تعقدي الأمور يا ذهبية.

بهاء – زواج الأميرة لا يخصها، بل يخص الدولة كلها.

فيروز – إن هذا الولد طامع في ثروة الأميرة.

برهان – سادتي ... إذا كانت الأميرة تريد حماقة الزواج من صعلوك، فهذا شأنها. ولكن إذا كان هذا الزواج يهدد رقابنا جميعا ... فهذا شأننا ولا شيء يحفـظ علينـا حياتنا سوى زواجها من الخاقان، تصرف يا عياش.

عياش – (لعدنان) أيها الضابط ... اقتل هذا الرسول ...

(عدنان يخرج سيفه، يقف لحظه ثم يعطيه لأحمد).

عياش – ماذا تفعل أيها المجنون.

برهان – ضباطك خونة أيها القائد.

عدنان – (لأحمد) أنتم ملاعين، ترك لي أبي قلادة وسيفا، أخذ أحدهم القلادة وأنت تأخذ السيف.

عياش – ستعدم أيها الضابط ...

عدنان – أعرف ولكن بيد من؟ (عدنان يخرج).

عياش – أتظن أنك قادر على قتالنا جميعا ...

أحمد – لا أظن ... أنا متأكد يا سيدتي ... فهوايتي تحـدي المستحيل.

السلطان – يا بني احفظ حياتك من أجلي ... أنا لا أريـد أن أرى دمك. اغمد سيفك.

أحمد – مولاي ... ألا تلاحظ أن السيف بلا غمد.

عياش – (ينهض) سآتي بمن يقبض عليك.

أحمد – لو تقدمت خطوة واحدة فسأجعل السلطان يرى دمك، وهو لا يحب منظر الدماء ... وعلى فكرة أنا ماهر جدا في لعبة السيف (لذهبية) حتى أعمال المنـزل لن تتعبي فيها ... أجيـدها (لعيـاش الـذي تقـدم خطوة) مكانك (لذهبية) في ليالي الصيف سآخذك في نزهة على البحر (لعياش) لا تتقدم (للسلطان) وتستطيع يا مولاي زيارتنا يوم الجمعة.

السلطان – لم أر في حياتي شيئا مضحكا كهذا ... ولكنني لا أستطيع الضحك ...

(يدخل عدنان حاملا سيفا).

عدنان – أنا معك يا صاحبي.

عياش – يا فرحتي ... اثنان ضد جيوش الأرض ...

أحمد – وما فيها؟ الجيش أكثر من جندي ... ونحـن أيضـا أكثر من واحد.

برهان – (لعياش) ألا تستطيع قتل هذا الأفاق؟

السلطان – يا بني لنتفاهم ز

فيروز – هذا الشاب يطمع في نصف ثروة المدينـة علـى الأول.

السلطان – سأعطيك ما تشاء ... واترك هذا الأمر.

أحمد – هل أنت قادر أيها السلطان أن تعطينـي الإحسـاس بالسعادة وأنا أمارس حماقتي.

السلطان – (لذهبية) إنه يعترف بحماقته.. ابعدي عنه .

أحمد ـ (لذهبية) قفي ورائي .. ولا تخشي شيئا، فإن لـي ألف ألف عين أرى بها ما ورائي ... هـل تعجبـك هذه اللعبة؟

ذهبية – أنا لم أر جنونا مثل هذا ...

أحمد – وهل هناك حل أمامنا سوى الجنون ... التصقي بي ونحن خارجان ...

برهان – مجموعة من الحمقى.

بهاء – رقابنا ستضيع في لعبة.

السلطان – كفى سخافة ... سأعفو عنكم جميعـا ... ولكـن دعكم من هذا ... ذهبية ... ابنتي اسمعي كلام أبيك.

ذهبية – الزوج أحق بأن يطاع.

برهان – يحق للسماء أن تسقط على الأرض في يوم كهذا.

عياش – كأني في كابوس.

السلطان – يا بني كن ولدا طيبا وكف عن الحماقة.

لا تضيعوا الوقت يا سادة ... فلم يبق إلا قليل على انتهاء السفارة ...

برهان – سفارة نحس.

فيروز – إن هذا لا يليق بهيبة السلطنة.

أحمد – ورائي يا أميرتي.

عدنان – وأنا أحمي ظهرك يا صاحبي.

فيروز – نصف ثروتي وأفهم لماذا يحدث هذا.

عياش – قف ... يا أبله أتعرف ما تواجه: مئات الألوف من الجنود، قادة لم يهزموا من قبل، تيمورلنك، غابات من السيوف والحراب والسهام.

أحمد – (مقاطعا) أعرف لقد رأيتهم بنفسي ... ولا يحدثك مثل خبير (صوت هائل يجعلهم ينتبهون).

فيروز – يا ألطاف الله.

عياش – لقد بدأوا.

السلطان – كارثة.

بهاء – ضاعت أرواحنا.

فيروز – ضاعت أموالنا.

عياش – لابد من عمل سريع يا سادة.

برهان – العقل ... يجب تدبير الأمر.

السلطان – أتتركيني يا ابنتي في وقت كهذا.

أحمد ـ أبوك هذا يا أميرتي رجل مزعج ... لا يملك سـوى الكلمات ... والله لولاك ما صاهرته.

(منصور يدخل مندفعا).

منصور – إنها تعمل ... إنها تعمل.

أحمد – الآلة العجيبة؟ يا سيدي كل العجائب تعمل الآن ...

(منصور ينظر إلى ما يحدث بدهشة).

منصور – ماذا يحدث هنا؟

عدنان – نحاول إنقاذ الأميرة.

منصور – من الخاقان؟

عدنان – من الجميع.

منصور – وأنا معكم.

فيروز – لا شيء ينضم إلى لا شيء ...

برهان – يا معتوه أمك في حاجة إليك ...

أحمد – هيا إلى تلك الآلة ... سيروا خلفي ... سأخرج بكـم من هنا ... فقط ثقوا بي ... حقا أنا مغرور جدا ... لكنني أيضا بارع جدا ... (يسيرون إلـى الخـارج وبينهم الأميرة ... الجميع في ذهول).

بهاء – تحرك أيها القائد ... افعل شيئا.

السلطان – لا ... توقف ... إن ابنتي معهم.

بهاء – ابنتك لا تهمنا الآن ... لقد فقدناها وانتهى الأمر.

برهان – رقابنا أغلى من كل شيء.

فيروز – أصبحنا لا نساوي درهما (يدخل المهرج يرتـدي قناع القائد في يده سيف يلوح به).

عياش – ما هذا.

السلطان – ليس هذا وقت الهزل يا عزة.

المهرج – دعوني أسليكم ... أنتم تعساء في حاجة إلى مـن يسرى عنكم ...

عياش – إذا لم تبتعد عن هنا قتلتك.

المهرج – لا تكن بطلا على حسابي يا سيدي ... فأنا أمسك بالسيف لأول مرة في حياتي ولا شك أنـك أقـوى

وأشجع وأمهر ... ولكن السيف أحيانا يطـول عـن تقدير الجاهل مثلي.

بهاء – لا تكن سخيفا.

المهرج – شاهدوني وسترون لعبة قد تكون أمتع من كل مـا قدمته لكم من قبل.

السلطان – كفى يا عزة ... لا نريد أن نرى شيئا.

المهرج – مولاي ... لا تحرمني من هذه اللعبة بالـذات ... لن أسمح لأحد منكم بالخروج حتى ألعبها ... أموت وأعرضها عليكم ... إنها لعبتي الأخيرة ... (يصعد الممثلون على المسرح في تحية النهاية: ذهبية بـين أحمد ومنصور وعدنان والمهرج ... وفي الجانـب الآخر، السلطان وبهاء الملـك وبرهـان وفيـروز وعياش وشوق ... والمنادي يقف في الوسط).

المنادي – هذا ما حدث في مدينتا حتى الثاني من شهر محرم (مشيرا إلى مجموعة السـلطان) هـؤلاء السـادة انتظروا في مخادعهم ما سيحدث: هل يأتي التتـار؟ هل ينجح الصعاليك حقا في إنقاذ الأميرة؟ هل تحدث معجزة هل تحدث كارثة؟ مجرد تساؤلات قلقـة ... (مشيرا إلى مجموعة ذهبية) أما هؤلاء فقد ساروا بالأميرة إلى حيث لا نعلم ... لكنهم بالتأكيد سـاروا في طريق خطر ... في كل شبر فخ، وفي كل فـخ

رمح، وفي كل رمح حقد، من أراد السلامة فلينضـم إلى هؤلاء (مشيرا إلى مجموعة السـلطان) ومـن أراد وجع القلب فليحمل سيفه ويتبع هؤلاء (مشـيرا إلى ذهبية ...).

" ستار "

النهاية

تم بحمد الله